

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -

شعبة الفلسفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية  
قسم العلوم الاجتماعية



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

تخصص : فلسفة عامة

الموسومة بـ :

فلسفة السخرية

إميل سيوران نموذجاً

إشراف :

د. عمارة الناصر

إعداد :

بلحسين نوال

لجنة المناقشة:

رئيساً	جامعة - مستغانم -	د. عباس الشارف
مشرفاً ومقرراً	جامعة - مستغانم -	د. عمارة الناصر
مناقشاً	جامعة - مستغانم -	أ.د. العربي ميلود

تاريخ المناقشة: 18 / 06 / 2020

السنة الجامعية: 2019-2020

## إهداء

أحمد الله تعالى وأشكره على توفيقٍ منه  
إلى الروح المعطاءة التي رافقتني وشجعتني، والتي لا تكفي الكلمات لوصفها،  
عندي لها أشد الامتنان والحب.. إلى أمي وأبي..

الذان لولاهما لما وُجدت ولولا حرصهما لما أصبحت "أنا" الآن لكما فضل  
كبير، أبي الذي تلقيت منه أرضية التفلسف والنقد (سقراط الأول الذي  
صادفته في حياتي)، إلى إخوتي.

إلى الأستاذ المؤطر الذي دائما ما يحرص على القيام بعمله على أكمل وجه،  
والذي سهّل عليّ الطريق لكتابة هذا المحتوى، أقدم لك عبارات التقدير  
والاحترام..

وإلى جميع الأساتذة الذين ساعدوني أيضا في إعداد هذه المذكرة، والأساتذة  
الذين على أيديهم تكوّنا وإلى أساتذة الحياة..

وإلى كل من كان له الفضل في إعداد هذه الأطروحة ولو بمقدار ذرة

أهدي إليكم أولى ثمرات أعمالي...

# الفهرس

01	• مقدمة
03	I. الفصل الأول: السخرية وتجزراتها الفلسفية.
05	1. المبحث الأول: السخرية كمصطلح وممارسة.....
05	أ. تعريف السخرية .....
05	• لغة .....
05	• اصطلاحا .....
07	ب. السخرية في الميادين العلمية والفنية والإعلامية.....
07	• السخرية من منظور علم النفس.....
10	• السخرية في الأدب والفن .....
12	• السخرية في البرامج التلفازية .....
14	2. المبحث الثاني: السخرية في التنظير الفلسفي.....
23	II. الفصل الثاني: تجليات السخرية في فلسفة سيوران.
25	1. المبحث الأول: التأسيس العبثي ودوره في تشاؤمية فلسفة سيوران.....
39	2. المبحث الثاني: مأساة أن يولد الإنسان.....
48	3. المبحث الثالث: السخرية بوصفها منهجا لاحتمال الواقع.....
48	أ. السخرية كمنهج .....
53	ب. تجليات السخرية في فلسفة إميل سيوران .....
57	ج. أهمية فلسفة السخرية .....
59	• خاتمة
60	• قائمة المصادر والمراجع

تنبثق السخرية من الشك مثلها مثل الفلسفة، كيف لا وأن السخرية في مضمونها تحمل فلسفة للتجاهل واللامبالاة، و من هنا تكمن أهمية هذه الفلسفة الخاصة، حيث أنها ستعمل على تحرير العقل من كل تلك التبجيلات والطبوات التي يصنعها الإنسان، فالسخرية تمنع بيننا وبين الموضوع صدد الدراسة تلك الدهشة التي تشكل عائقا إبستمولوجيا يعيق ويثبط عملية البحث، كما أنها تكسبنا روحا مرنة تستطيع التعامل مع شتى الظروف، ونعني بهذا تلك السخرية التي يكون لها تأثير عميق على الذات الإنسانية، وليست السخرية السطحية التي لا طائل منها.

إن موضوع بحثنا يعد موضوعا قديما فلسفيا، جديدا من حيث الدراسات الأكاديمية الفلسفية وهذا ما سيتمثل في بلورة إميل سيوران للسخرية كميل عبر عنه عن طريق الكتابة الشذرية التي تبتعد عن النسق الفلسفي.

لطالما كانت الدراسات حول فلسفة سيوران محتشمة وبالأخص في الدراسات العربية، ولطالما كانت مثل هذه المواضيع الهامشية التي تدرس السخرية وكل ما هو غير باد للعيان لا تلقى رواجاً وإقبالا في دراساتنا الفلسفية، وهذا من أحد الأسباب الموضوعية التي تجعلنا نلقت إلى البحث عن أهمية هذا الهامش الذي لا يتصدر المشهد، لنسقط عليه الضوء ونكتشف خباياه، ومن الأسباب الذاتية التي أدت بنا إلى اختيار دراسة هذا الموضوع هو العمق الذي يلامسنا عند قراءتنا لإميل سيوران، وأيضا الرفع من شأن هؤلاء الفلاسفة غير المعروفين والذين يستحقون منا إعادة النظر إلى مثل هذه الأعمال الثمينة المهمشة، كما أنه علينا أن نلقت إلى الأعمال التي حتى وإن لم تكن تتصف بالنسق الفلسفي إلا أنها تحمل فلسفة أعمق مما نجدها في الكتب الفلسفية وأقصد بهذا، الأعمال الفنية باختلافها، فالتعمق في تأمل لوحة أو مقطوعة موسيقية يشعرا بالفلسفة الحقة أكثر من تلك الفلسفة الجامدة الموجودة في الكتب الفلسفية، لذا فإنه علينا أن ننقل الفلسفة من ذلك النموذج الصارم الذي تم صنعه لها، ودمجها مع الواقع عن طريق استخلاصها من الأعمال الفنية وجعلها فلسفة معيشية تتصل بالإنسان وتصاحبه في حياته، لا أن نجعلها عديمة الجدوى بعيدة كل البعد

عنه، فهي في الأخير فعل إنساني، وهذا أيضا من الأسباب الذاتية التي جعلتني أتوجه إلى الهامش وأختار موضوع السخرية و الذي يعد هذا الهامش فلسفة قريبة إلى حياة الإنسان ويمكنها أن تحسن من حياته أكثر من تلك المجلدات الفلسفية التي أكلها الغبار، لا لأنها لا تحمل ثقلا معرفيا وإنما بسبب أنها عسيرة الفهم وتتطلب تكويننا فلسفيا، مما يجعلها موجهة فقط لخاصة من الناس، وهذا ينفي دور الفلسفة التي توجّه للإنسانية ككل، للإنسانية ككيان مفكر.

أما بالنسبة لمنهج هذا البحث فقد تم الاعتماد فيه على المنهج التحليلي نظرا إلى أنه المنهج المستعمل بكثرة في الدراسة الفلسفية.

إن بحثنا هذا لا يعتبر إلا محاولة من أجل التعريف بفكر إميل سيوران الذي يتسم بالطابع الساخر، والذي يطرح الإشكال التالي : "ما الدوافع التي أدت بسيوران إلى تبني السخرية كفلسفة وكمناهج حياة؟ وما مدى نجاعتها إبستمولوجيا وواقعا؟"

أما عن الفصول التي احتوتها هذه الدراسة فهما فصلين كانا عبارة عن محاولة متواضعة من أجل تكوين نظرة عن هذا الموضوع الذي يعد موضوعا جديدا، وقد عنون الفصل الأول بعنوان "السخرية وتجزراتها الفلسفية"، و احتوى على مبحثين حاولنا أن نفصل فيهما قليلا حول معنى السخرية وعن أصولها في الفلسفة.

أما الفصل الثاني والمعنون ب"تجليات السخرية في فلسفة سيوران" فقد حاولنا فيه عرض البدايات التي عاشها سيوران وأثرت فيه شخصيا والتي كان لها واسع التأثير في فكره وفلسفته وهذا ما نجده في المبحث الأول " التأسيس العبثي ودوره في تشاؤمية فلسفة سيوران"، أما المبحث الثاني : "مأساة أن يولد الإنسان" فقد احتوى على بعض أفكار سيوران وموقفه تجاه فعل الولادة بما أنه فيلسوف عدمي، لنجمع كل هذا ونستخرج في الأخير توصله إلى فلسفته الساخرة التي طبعت كل كتبه، وهذا في المبحث الثالث المعنون ب : "السخرية بوصفها منهجا لاحتمال الواقع".

# الفصل الأول

السخرية و جذراتها الفلسفية

**تمهيد**

إن دراسة الأصول الأولى للسخرية في الفلسفة تستدعي منا قبل كل شيء التوقف عند تعريف السخرية كأول خطوة للإلمام وأخذ فكرة عنها، لذا فقد تم البدء في هذا الفصل بلمحة تعريفية للسخرية من مختلف القواميس والمعاجم، كما قد تم ذكر بعض أهم المجالات والتي استعملت فيها السخرية بشكل ملحوظ كالفنية والأدبية والنفسية... الخ.

لنصل في آخر هذا الفصل إلى التنظيرات الفلسفية التي وجهت حول موضوعنا "السخرية"، بادئين بفلسفة العصر الإغريقي متوجهين تدريجيا نحو العصر الوسيط والعصر الحديث وصولا إلى التنظيرات التي أسست حول السخرية في الفلسفة المعاصرة.

## 1-المبحث الأول: السخرية وتجذراتها الفلسفية.

تعتبر السخرية أداة من أدوات التعبير التي يستخدمها الإنسان في حياته اليومية، واعتبار أن السخرية فلسفة فهي إذن تعمل على إظهار حقيقة ما لكن بطريقة فكاهية طريفة من جهة أو هجائية من جهة أخرى، وقبل الإسهاب في الحديث عن السخرية لا بد من ضبط بعض التعريفات حولها.

## أ/ تعريف السخرية:

## • لغة:

"سَخِرَ منه وبه سَخْرًا وَمَسَخَرًا وَسُخِرَ بالضم وَسُخِرَةً وَسُخْرِيَةً: هزئ به"<sup>1</sup>، "سَخِرَ من منافسه: هزئ به، ولذعه بكلام تهكمي. رسم ساخر: هازئ هزلي، سَخِرَ من الموت: لم يخشه ولم يعبأ به -لهجة ساخرة: دالة على السخرية"<sup>2</sup>

"التهكم أو السخرية: في الفرنسية Ironie، في الإنجليزية Irony، في اللاتيني Ironia

<sup>3</sup> باليونانية eiron"<sup>4</sup>

"هناك مرادفات للسخرية مثل التهكم، الهزء، الكلام بعكس ما نقصد... إلخ"<sup>5</sup>

## • اصطلاحا:

"السخرية هي استخدام الكلمات لإيصال معنى مخالف لمعناه الحرفي. إنها تقنية. وموقف معاكس لما هو في الواقع ومعلن ظاهريا"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، "لسان العرب"، المطبعة الأميرية، مصر، 1300هـ، ط1، ج6، ص 16-17.

<sup>2</sup> أحمد مختار عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ج1، ص 1044.

<sup>3</sup> جميل صليبا، "المعجم الفلسفي"، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ج1، ص 356.

<sup>4</sup> تد هوندرتش، "دليل أكسفورد"، ت. نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، ج2،

ص 465.

<sup>5</sup> معن زيادة، "الموسوعة الفلسفية العربية"، معهد الإنماء العربي، ط1، 1986، ج1، ص 474-475.

<sup>6</sup> Ranj Kishore Singh, "International journal of English and literature (IJEL)", University Kathmandu, Nepal, Vol.3, Issue.4, Oct 2012, p65.

"بالمعنى الحديث والمتداول، السخرية ضرب من قلب المعنى. إبلاغ ما يراد قوله من خلال قول العكس بالتحديد، مع قصد التهكم أو الطعن".<sup>1</sup>

"ونجد في العصر الوسيط معنى لم يعد متداولاً اليوم: فعل النقد الذاتي بكذبة، إما لإعلاء قيمته بالتضاد وإما لخداع الآخرين والإفادة منهم"<sup>2</sup> "والغرض الإيجابي من هذا التعبير المخالف للحقيقة تقويم السلوك بطريقة الفكاهة، وسرعة البديهة، لأن النفوس تستعذب الجد الذي يعرض عليها بثوب الهزل"<sup>3</sup>

"سخرية خاصة من خلالها نقول عكس ما نريد أن نسمع"<sup>4</sup>

#### ملاحظة:

السخرية لا تأتي في شكل خطاب لغوي فحسب، وإنما نجد لها أشكالاً عديدة تتجاوز الكلام، فهناك إيماءات وانفعالات تعبر عن السخرية دون الحاجة إلى التعبير عنها لفظياً. كما أن طابع السخرية القائم على إظهار العكس لا يعني هذا بأنها تعني الرياء الذي يعني التظاهر بعكس ما في الباطن، لقول "جانكلفتش Jankélévitch: ليست السخرية رياء، أولاً لأن المرائي لا يسعى إلى غير خدمة مصالحه الأنانية، وثانياً لأن الرياء يقوم على سوء النية، باعتبار أن الغاية منه هي الخداع، في حين أن السخرية تخدع وتعاون معاً، بل هي لا تخدع إلا لكي تتبه، إنها ما يضعنا في الطريق السوي، وهي تكشف وتغطي معاً"<sup>5</sup>، فلا وجود لسخرية دون وجود مقصد وحقيقة نود إيصالها خلف الفعل أو القول الساخر.

<sup>1</sup> أندري لالاند، "موسوعة لالاند الفلسفية"، ت. خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ج2، ص708.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص708.

<sup>3</sup> روزنتال و يودين، "الموسوعة الفلسفية"، ت. سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، د.ط، د.س، ص559.

<sup>4</sup> F. Debyser, 'les mécanismes de l'ironie', bureau pour l'enseignement de la langue et de la civilisation française a l'étranger, s.p.s.i, p01.

<sup>5</sup> سعيد جلال الدين، "معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية"، دار الجنوب، تونس، د.ط، 2004، ص.ص 240-241.

## ب/ السخرية في الميادين العلمية والفنية والإعلامية:

## • السخرية من منظور علم النفس:

"قدم عالم النفس الإسكتلندي ألكسندر بين (1818-1903) نظريته التي بيّن فيها الأسباب الرئيسية للضحك وهو ذلك الشعور بالانتصار على عدو أو تحد معين أو مهمة شاقة، وهو الشعور بالتفوق وكذلك التحرر المفاجئ من القيود والضوابط كما أنه لم يشترط أن يكون موضوع السخرية من شخص إنساني، فقد تضحك من فكرة أو مؤسسة سياسية أو حتى من شيء غير حي عن طريق تحويله إلى حالة يشبه فيها شخصا معينا يتم الإقلال من شأنه"<sup>1</sup>، إن للسخرية أسباب عديدة منها ما هو متعلق بالشعور بالتفوق وتضخم الأنا ومنها أيضا ما يمثل تفريفا و تفريجا عن النفس، إن الساخر يرجع الإنسان إلى ذكريات الطفولة حيث لا وجود للقيود وللضوابط التي تكبل الشخص فور خروجه من تلك المرحلة، إنها خروج من النمطية ومن النموذج الواحد الذي يوجب الفرد أن يتصرف على نحوه، كما أن السخرية وفق ما ذكرنا لا تشترط استهداف الإنسان فحسب، وإنما يمكن أيضا السخرية من الأشياء والجمادات والمؤسسات وكأن الإنسان يقوم بإسقاط ذلك الشيء الإنساني المضحك على ما هو جماد أو ما ليس له علاقة بالإنسان.

أما فيما يخص العالم النفسي سيغموند فرويد (1856-1939) فقد قدم أيضا تحليلا يصب في مجرى السخرية والفكاهة حيث "يعتبر ذلك من أرقى الإنجازات النفسية للإنسان التي تصدر وفق التصور الفرويدي عن آلية نفسية دفاعية في مواجهة العالم الخارجي المهدد للذات وتقوم هذه الآلية على أساس تحويل حالة الضيق أو عدم الشعور بالمتعة إلى حالة من الشعور الخاص بالمتعة أو اللذة"<sup>2</sup> فيصبح هنا للفكاهة دورا وقائيا يقينا من عدة انفعالات نفسية، إنها تجعلنا نتحمل الألام والأحزان التي يتعرض لها الإنسان، وهذا ما سيتم التطرق إليه في الفصل الأخير.

<sup>1</sup> ضياء مصطفى، "السخرية في البرامج التلفزيونية"، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط1، 2004، ص125.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص126.

كما يرى أيضا أن "اللذة أو المتعة الخاصة بالنكتة تنشأ عن ذلك الاقتصاد بالطاقة وهي تلك الطاقة التي كانت ستنتفج في عمليات الكبت للغرائز العدوانية والجنسية، أما المتعة الخاصة بالمضحك فتنشأ عن ذلك الاقتصاد أو التوفير في الطاقة التي كان سيتم إنفاقها في التفكير، وهكذا فإن متعة الفكاهة إنما تنتج عن ذلك التوفير في الطاقة التي كان سيتم إنفاقها في الانفعالات بشكل عام"<sup>1</sup> إذن فرويد يميز بين النكتة والمضحك ويمكن رصد مكامن اختلافهما في أن النكتة هي تعبير أدبي شعبي يعبر عن قصة صغيرة تثير الضحك، وبالتالي فالنكتة ستنتج المضحك الذي سيتمثل في تلك اللحظة التي يدرك فيها الإنسان الجانب المضحك في النكتة ، أما الفكاهة والتي تعبر عن السخرية فهي تمثل الخبرات المعرفية التي يتعلمها الفرد من تجاربه ويتم استعمال تلك الخبرة في قالب يثير الضحك والتسلية.

أما فيما يخص الجانب التربوي فقد "رفضت التربويات السخرية كطريقة في التعاملية إزاء الولد، أو في التعليم والنقد والمحاكمة"<sup>2</sup>، ولا يوصي علماء النفس التربوي الأهل والمربين باستعمال السخرية مع الطفل لأن "تلك المساواة اللفظية"<sup>3</sup> التي نجدها في السخرية "حتى وإن كانت مؤقتة أو بقصد نبيل أو تحقيقا لهدف أخلاقي تعليمي، لا تبقى مؤقتة ولا نبيلة الغاية زائلة التأثير،.. لأن الولد في السنوات الأولى من العمر لا يميز بين أفعاله وشخصيته، ولا بين الأحكام الجدية والأحكام المستهزئة أو المازحة أو الساخرة"<sup>4</sup>، وهذا ما يحدث في الواقع أن الطفل حين مخاطبته بأسلوب ساخر سيأخذ الأمر بجدية ويسقطه على نفسه، وهذا ما قد يؤدي إلى تحطيم شخصيته لذا فمن أهم المتطلبات التي تفرضها علينا معرفة السخرية هي أنه لا بد وأن يتوفر الوعي الذي يميز بين الكلام الساخر وعكسه، لذا "فإن السخرية بحكم الوضع العقلي للولد وقابليته الشديدة للإيحاء. تضغط على الطاقة

<sup>1</sup> ضياء مصطفى، "السخرية في البرامج التلفزيونية"، مرجع سابق، ص 126.

<sup>2</sup> معن زيادة، "الموسوعة الفلسفية"، ج 1، مرجع سابق، ص 474.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 475.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 475.

الحيوية لديه، وتقل من احترام الذات للذات ولعملها وللغير، وتجرح الرغبة بالأمن والحاجة للنجاح والوعي به<sup>1</sup> لهذا فلا يمكن اعتماد هذه الطريقة في تربية الطفل خاصة في بدايات طفولته، "كما أن ذات المقصد التعليمي المزعوم، أو الحسنة النية ظاهريا، يؤهل لتعود الولد على سماعها فتخف سلطة سلاحها، إلا أنه قد يذهب إلى حد التمرد، ويسعى للانتقام وللرد السلبي بعد كبت ثقيل"<sup>2</sup>، وكأن هذا النص الناقد لاستعمال السخرية في التعليم يحيلنا إلى طريقة سقراط التعليمية والتي طبقت منهج التهكم، لكن فحسب الأخصائيين التربويين لا يجب استعمال الخطاب الساخر مع الطفل لأنه يكون في مرحلة حساسة حيث يكون كالإسفنجة يمتص كل ما في محيطه ويعكسه على شخصيته.

<sup>1</sup>معن زيادة، "الموسوعة الفلسفية"، ج1، مرجع سابق، ص475.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص475.

## •السخرية في الأدب والفن:

إن تاريخ الأدب حافل بالأساليب الساخرة التي استعملها الأدبيون خاصة في ظل الحكومات الدكتاتورية، حيث يتم محاكاة الواقع بطريقة مثيرة للفكاهة، إن أول نص روائي في تاريخ البشرية ألا وهو رواية "الحمار الذهبي" أو "التحولات" للكاتب الأمازيغي أفولاي (125-180) كان قد استعمل فيها الكوميديا الساخرة، وبصفة عامة "لقد استطاع هذا البون من التعبير الأدبي أن يتمتع بخصوصية. حيث أن شخصية الإنسان الساخر في الأدب باتت من الشخصيات المميزة، كون أن الكاتب الساخر ينتقيها من قاع البيئة المحلية وكانت هذه الشخصية بالغة الأهمية في تلك الإبداعات. كان الشخص الساخر. يظهر تارة على أنه معتوه ويفلسف الأحداث والوقائع. وأحيانا يميل البطل في مراحل وقوع المآسي البالغة عليه إلى شيء من السخرية كما الأمر في مسرحيات شكسبير"<sup>1</sup>، إن وجود هذا النوع من الأدبيات يضيف على النص روح التشويق والمتعة..، وكذلك استعان الفيلسوف الألماني فريدريك نيتش (1844-1900) بشخصية الساخر في عمله. "هكذا تكلم زرادشت"، عندما ظهر ذلك الشخص الساخر من الجبال وغدا ينذر الناس قائلاً: الحياة في خطر"<sup>2</sup>، ولقد تم إدراج كتابات نيتش في هذا المقطع الذي يتحدث عن الأدب الساخر كون أن كتاباته قد خرجت عن الكتابة الفلسفية المألوفة واكتسبت طابعا أدبيا مفلسفا.

أما من ناحية الفن وبالتحديد الفن التشكيلي "فقد استعاد مذهب السورالية كثيرا من لعبة السخرية إن لم تكن أهم دعائمه"<sup>3</sup> حيث "استعان رائد الفن السورالي سلفادور دالي (1904-1989) بشخصية المهرج في كثير من أعماله التشكيلية، بل كان دالي نفسه يتقمص في كثير من الأوقات بشخصية المهرج، و يتزيا بزيه، حتى عند افتتاح معارضه، أو

<sup>1</sup> عبد الباقي يوسف، "فلسفة السخرية"، ضمن مجلة المعرفة، سوريا، عدد885، مارس2010، ص172.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص172.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص.ص172-173.

زياراته إلى أماكن عامة، وفي بعض تصرفاته وحتى أحاديثه<sup>1</sup>، وربما دلت شخصية المهرج هنا إلى بعد سوربالي أيضا لأن السوربالية هي ما فوق الواقع وكأنها تعالي عنه، وشخصية المهرج هي تعالي وتفريج عما يجري في الواقع من كآبة وجمود أنتجته النمطية التي يجب على الكل اتباعها، لذلك يمكن اعتبار شخصية المهرج على أنها تعبير عما هو أفضل، إنها تعبر عن الحيوية والألوان والسرور الذي يفتقده واقع الفنان سلفادور دالي بخاصة والفنان ككل والإنسان بصفة عامة، وعلى هذا النحو فقد ذهب أيضا فنانون تشكيليون آخرون إلى التعبير عن أفكارهم بطريقة فكاهية وذلك عن طريق الرسم الكاريكاتوري فيصرون شخصيات وحوادث حدثت في الواقع بأسلوب وطريقة رسم بسيطة حيث يبالغون في تحريف الملامح الطبيعية للشخصية محل السخرية لتجعلها أكثر إضحاكا، وكل هذا له هدف إما ناقد أو توعوي... إلخ، فالفن هو المساحة التي تضمن للسخرية متسعا وحرية أكثر.

<sup>1</sup> عبد الباقي يوسف، مرجع سابق، ص 172.

### • السخرية في البرامج التلفزيونية:

تعتبر البرامج الفكاهية من البرامج الرائجة في المحطات التلفزيونية "ففي الأيام الأولى للتلفاز كانت تعرض تمثيلات فكاهية تقدم مغامرات تتصل بعائلة يتميز أفرادها بالذكاء والمواهب النادرة يقع أفرادها في مشاكل تثير الضحك وكان ذلك هو الإطار الرئيسي الذي يدور حوله كتّاب الروايات في التلفاز. ولقد تطورت مضامين البرامج الفكاهية من المشاكل العائلية المثيرة للضحك إلى السخرية من السياسيين"<sup>1</sup>، ويبين لنا هذا كيف انتقلت البرامج التلفازية من معالجة مشاكل العائلة بطريقة ساخرة إلى مرحلة أخرى ألا وهي عرض ما يجري في الخلفيات والشؤون السياسية بطريقة كوميدية وهادفة في كثير من الأحيان، إن الكوميديا قد "حظت بقبول جماهيري واستأثرت باهتمام كبير يرجع سببه في الغالب إلى طبيعة خصائص الكوميديا الداخلية وقوة الجذب والتأثير الذي تنطوي عليها، إلى جانب تعدد الوظائف التي تنهض بها، وقدرتها على الاستجابة لمتطلبات الحاجة النفسية للجمهور، لذلك يحرص مخططوا ومنسقوا البرامج في المحطات التلفزيونية المختلفة أن تكون للكوميديا حصتها في خرائط البرامج"<sup>2</sup>، حتى أن هناك العديد من الجماهير من تضع تلك البرامج التلفزيونية الكوميدية ضمن الأساسيات والضروريات التي يجب متابعتها يوميا، نظرا لأن الإنسان ميال لما يضحكه خاصة مع ضغوطات الحياة، فتصبح تلك البرامج كفسحة واستراحة للعقل.

إن إبداع برامج تلفزيونية قادرة على إضحاك الجمهور بنجاح يحتاج إلى قدر كبير من الذكاء الإبداعي، كما أنه في نفس الوقت هناك برامج فكاهية تحتاج إلى قدر كبير من التقاهة، حسب وعي الجمهور الذي توجه إليه هذه البرامج، لذا فقد تم "تصنيف البرامج التلفزيونية الساخرة تبعا لوظيفتها وهدفها ومضمونها كما يلي :

<sup>1</sup> ضياء مصطفى، "السخرية في البرامج التلفزيونية"، مرجع سابق، ص 245.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 246.

- ✓ برامج تلفزيونية فكاهية تهدف إلى الإضحاك والترفيه والتسلية.
- ✓ برامج تلفزيونية فكاهية تهدف إلى النقد الاجتماعي والسياسي.
- ✓ برامج تلفزيونية فكاهية تهدف إلى الدعاية والحرب النفسية.
- ✓ برامج تلفزيونية فكاهية تهدف إلى التثقيف والتعليم<sup>1</sup>

وهذا يبين لنا أن أهداف البرامج التلفزيونية الساخرة ليست واحدة فقط وإنما تختلف، فهناك ما هو إيجابي يدفع إلى النقد وفهم الواقع والتنفيس عن الروح... إلخ، أما السلبي منها فيتمثل في البرامج التي تحمل ثقلا عدائيا والتي تجعل عقول الناس عبارة عن عبوات يتم حشوها فقط دون استعمالها، فتتشر العنف والغباء والبلادة لا غير.

<sup>1</sup> ضياء مصطفى ، "فلسفة السخرية"، مرجع سابق، ص 257.

## المبحث الثاني: السخرية في التنظير الفلسفي.

إن تاريخ الفلسفة حافل بالعديد من الفلاسفة الذين عالجوا الفكاهة والضحك، وكل ما يتعلق بهذه المرادفات التي يمكنها أن تتقاطع مع "السخرية".

وكانت انطلاقاً لعرض سير فكرة السخرية في الفلسفة سنختار أن نبدأ مع العصر والحضارة اليونانية التي تعتبر عند الكثير مهداً للفلسفة.

لقد كان يعتبر الساخر في العصر الإغريقي "ذلك الشخص الذي يتظاهر"<sup>1</sup> وهو ما يعبر عنه "جذر الكلمة اليونانية Eiron"<sup>2</sup>، أي أن السخرية قد اعتبرت في العصر اليوناني كقناع يظهر لنا عكس ما نود التصريح به، وبالتالي فإنها قد استخدمت في مجالات عديدة قصد التغطية، التي ماهي في مغزاها إلا كشف عن المستور بطريقة غير مباشرة ومثيرة للفكاهة أو السخط.

ومن أهم أعلام الفلاسفة اليونان الذين عرفوا باتخاذهم للمنهج الساخر نجد الفيلسوف سقراط (470 ق.م - 399 ق.م) الذي اعتمد طريقة الحوار الجدلي (dialectique)<sup>3</sup>، لقد كان "حوار سقراط يتضمن عمليتين إحداهما سلبية والأخرى إيجابية، فالعملية السلبية\* هي التهكم"<sup>4</sup>، أما الإيجابية فهي التوليد، وفي هاتين العمليتين الحواريتين تنتج السخرية لدى

<sup>1</sup> تد هوندرتش، دليل أكسفورد، ت. نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، ج2، ص465.  
<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص465.

<sup>3</sup> مصطفى حسبية، "المعجم الفلسفي"، دار أسامة، الأردن، ط1، 2009، ص264.

\* إن وصف عملية التهكم بالسلبية لا يقصد بأنها ليست ذات فائدة معرفية أو فلسفية، وإنما يقصد بالسلبية هنا ذلك الفعل الذي يؤدي بسقراط للتظاهر بجهله، إذن فالهدف من السخرية هنا ليس سلبي، وإنما له هدف إيجابي والذي سيتمثل فيما بعد في توليد سقراط لأفكار الشخص الذي تدور معه العملية الحوارية، وهنا سيظهر لنا الجانب الحجاجي للسخرية الذي يكمن وراءه إقناع بحقيقة ما.

<sup>4</sup> مجدي كيلاني، "الفلسفة اليونانية من منظور معاصر"، دار الوفاء، د. ط، د.س، ص95.

سقراط، حيث أنها تتمثل "في السؤال عن الشيء مع إظهار الجهل به، وفي التسليم برأي الخصم وتبني ما يدعيه، ثم في استدراج هذا الخصم رويدا رويدا عن طريق الأسئلة والأجوبة إلى استخلاص نتائج مناقضة لادعائه وإلى الاعتراف بمعرفته الزائفة"<sup>1</sup> إن أسلوبه هذا في الحوار يبدو للمحاور كما لو كان سقراط يريد أن يسخر منه بهذه الطريقة غير المباشرة وهذا ما عرف باسم التهكم السقراطي *L'ironie socratique*<sup>2</sup> أو فيما عرف بالمنهج المايوطيقي المتمثل في "استيلاء الحقيقة من النفس *maïotique*"<sup>3</sup>.

إن السخرية دائما ما تثير الجدل وتربك أصحاب النفوذ خاصة الذين رسموا عن أنفسهم صورة متعالية أمام المجتمع ترفض أن تمسها الايدي الساخرة، ولقد كان منهج سقراط الفلسفي. سببا في أن احتشد الأثينيون حوله وجعل شهرته تبلغ الآفاق، لكنه في الوقت نفسه جلب عليه سخط الشعراء وبعض الخطباء السياسيين ممن عانوا من تلاعبه بهم في الجدل<sup>4</sup>، ذلك أن السخرية ترفض الجمود ذو الطابوات والتمجيد وتتغذى بالشك، مما قد يؤدي بالشخص الساخر إلى عواقب وخيمة وهذا ما رأيناه مع الفيلسوف سقراط أثناء محاكمته وإعلان إعدامه، وهذا ما يؤدي بنا إلى تبني فكرة لا سخرية دون امتلاك الجرأة والشجاعة.

إن إعدام سقراط كان يحمل وفاة شكلية فقط، لفيلسوف مارس التشكيك إمبريقيا\*، لأن تاريخ وفاة سقراط هو تاريخ بعث الفلسفة ومعرفة ورواج صيت سقراط بين الشباب والشعب الأثيني، فقد ظهر العديد ممن تأثروا بأفكاره على غرار أفلاطون (427ق.م-347ق.م) تلميذه وراوي حواراته، بالإضافة إلى ما سموا بالمدارس السقراطية الصغرى، ومن أهم هذه

<sup>1</sup> جلال الدين سعيد، "معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية"، دار الجنوب، تونس، د.ط، د.س، ص240.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بدوي، "الموسوعة الفلسفية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1984، ج1، ص578.

<sup>3</sup> مصطفى حسبية، مرجع سابق، ص264.

<sup>4</sup> مجدي كيلاني، مرجع سابق، ص105.

\* ميدانياً.

الفلسفات التي حاولت محاكاة فلسفة سقراط وبالأخص في تبنيه لمنهج التهكم الساخر نجد ما يسمى بالمدرسة الكلبية.

إن أهم رائد لهذه المدرسة ومؤسسها أنتستانس كان يتمتع باستقلالية تجعله مخالفا ومناهضا ومستقلا عما جاء به مجتمعه "وهذه الاستقلالية كانت في الواقع موجودة في حياة سقراط، فهو كان مستقلا في كل حاجياته وممتلكاته الدنيوية"<sup>1</sup>، أي أن المدرسة الكلبية جاءت بأفكار وفلسفة مغايرة لما قد كان سائدا في أثنينا لذا فقد "استخف الكليون بكل القوانين والأعراف والمؤسسات التقليدية للمدن اليونانية"<sup>2</sup>، إن "تعاليم هذه المدرسة تقوم على احتقار المواضيع الاجتماعية والزهد في الذات وعلى التزام قانون الطبيعة والقول بأن الفضيلة هي الخير الوحيد وقد يطلق الكليبي على كل منكر للمبادئ المقررة"<sup>3</sup> إذن فقد انطلق الكليون من أرضية الشك الذي يجعلهم يعيدون النظر في المبادئ والأفكار التي كانت سائدة آنذاك، واتخاذ تلك القناعات الشائعة محل السخرية مما جعلهم ينظرون إلى أن "كل وسائل السيطرة الأخلاقية والاجتماعية هي اعتبارية وهي غير ملزمة وهم أحرار لا تستعبدهم الأعراف ولا الضوابط الاجتماعية"<sup>4</sup> وهذا ما سيذكرنا لاحقا بفلسفة فريدريك نيتش ( 1844-1900) الراضية لكل الأعراف والأخلاق التي سماها بأخلاق العبيد، إن تبني الكليبيين لفلسفة الشك جعلتهم إحدى أعلام فلاسفة الارتياح، ولا يخفى عنا بأن السخرية لا يمكنها أن تقوم دون وجود عقل شاك مناهض لما هو كائن، إنها تقلب الأشياء رأسا على عقب، لكن لم؟، هل يكون ذلك رغبة في السخرية من أجل الضحك فحسب؟، أيا كانت رغبة الشخص الساخر في أن يجعل من الشيء مضحكا إلا أنها لا تتوقف عند ذلك الحد، لأن بعد المزاح يأتي التفكير، لا يوجد كلام يحمل مزاحا من أجل ذاته فقط، إلا ونجد خلفه حقيقة ما، لذلك يمكن

<sup>1</sup>W.T Stace , 'A critical history of greek philosophy', Mcamellan and co, london,w.p, 1920 ,p158.

<sup>2</sup>معن زيادة، "الموسوعة الفلسفية العربية"، معهد الإنماء العربي، ليبيا، 1988، ط1، ج2، ص1136.

<sup>3</sup>إبراهيم مذكور، "المعجم الفلسفي"، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1983، د.ط، ص ص 153-154.

<sup>4</sup>معن زيادة، "الموسوعة الفلسفية العربية"، ج2، مرجع سابق، ص1136.

تشبيه السخرية بالقبلة المؤقتة، إن أصدق ما قيل هو الذي تم التصريح به في مزحة، ذلك أن السخرية لا تعبر فقط عما يضحك فهي تحمل مآسي شعوب بلغ بهم الضغط مداه، لذا إذا أردت فهم شعب ما فاقراً نكاته.

إن الاحتقار الذي دائماً ما يصاحب حكم الكثير حول المدرسة الكلبية يغطي عن الجانب الإيجابي لديهم، فهم لم يكونوا مجرد كلاب بشرية تتسكع لترمي بتهكماتها أمام الناس، فقد كان خلف تهكماتهم حقائق عميقة، إن العمق يختفي وراء النكتة، وفيما يلي بعض ردات الفعل والآراء الساخرة التي عرفت عن الكلبين:

ففي الموت مثلاً فقد كان "يعتقد أنتستس بأن الموت يقضي على الذات الشخصية ويضع حدا لذاتيته الحقيقية ويسلبه كل ما له من قيمة حقيقية ، لذلك ينبغي التخلص من جثة الميت بدون انفعالات وبدون مراسم شأنه شأن أي شيء تافه آخر، وهذا الاحتقار لجثة الإنسان ليس إلا تطبيقاً لمبدأ الكلبين القائل بأن أهم الدروس هو أن نتعلم من كل شيء لا قيمة له"<sup>1</sup>، أما فيما يخص السياسة والسلطة "فلم يكن ديوجين (؟-324) يحفل بها ولا بالملوك والأمراء وبالثروة والجاه، ويحكى أن الإسكندر الكبير مر به يوماً فوجده جالسا في مشرفة فوقف عليه وقال له : « سل حاجتك فقال » : « حاجتي إليك التتحي حتى تقع الشمس علي»<sup>2</sup> إن وراء هذا الرد الساخر تكمن حقيقة أعمق ألا وهي أنه مهما كانت سلطة الإنسان فإنه لا يمكنه أن يقدم لك أبسط الأشياء التي تقدمها الطبيعة، ذلك أنه مهما بلغ الإنسان من منصب ونفوذ فإنه لا يستطيع أن يملك الأشياء المجانية الموجودة في الطبيعة والتي هي ملك كل الناس، "ويروى كذلك أن الإسكندر قال له مرة : « لو استسمحنا لأعناك على دنياك » ، قال له ديوجين : «كيف استسمحك وأنا أغنى منك؟» قال له : «وكيف صرت كذلك؟» ، قال : «لأنني بالقليل الذي عندي أشد اكتفاء بالكثير الذي عندك»<sup>3</sup>، أما

<sup>1</sup>معن زيادة، "الموسوعة الفلسفية العربية"، ج2، مرجع سابق، ص1136.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص 1136 .

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص 1137.

فيما يخص التعليم فقد كان للكليبيون رأياً آخر مخالفا للعلوم النظرية التي كان يتفاخر بها الفلاسفة آنذاك، فقد رأوا أن الأفعال أهم من النظر المطلق "فقد سخر ديوجين من زهد أفلاطون"<sup>1</sup>، لكن هذا لا يجعل منهم مضادين لما يسمى بالتربية العقلية "فالتربية العقلية- بالنسبة إليهم-تأثير مكثف ومباشر لقول مأثور أو لحكمة من الحكم، وتأمل في فكرة من الأفكار، أكثر منها بناء عقلاانيا، وهذا التأمل يمهد للعمل والفعل ويفترق بالتالي افتراقا بينا عن النظر المحض الذي موضوعه الحقيقة"<sup>2</sup>، إذن فالتربية العقلية عند الكليبيين هي ذلك التأثير الذي تنتجه حكمة نظرية في نفس المتلقي وتؤدي به إلى نتيجة وهي القيام بالفعل الذي يجسد تلك الحكمة، على عكس النظر الخالص الذي يدور موضوعه فقط في المثاليات وما لا يمكن تجسيده على أرض الواقع مثلما نرى في أفكار أفلاطون المثالية وبالأخص فيما جُيّد في كتابه (الجمهورية).

وفي الحديث عن المثالية، ننتقل إلى المثالية التي ينشدها الدين وبالتحديد إلى العصر الوسيط الذي عُرف بالتأثير الكبير الذي مارسه اللاهوت في الفلسفات، ونذكر هنا الفلسفة المسيحية والإسلامية، وعلى ذكر الفلسفة المسيحية فقد تميز العصر الوسيط في أوروبا بسيطرة رجال الكنيسة على الحياة الاجتماعية، لقد كانت الحياة آنذاك معلقة بالماضي وبالخطيئة، لذلك لم تعرف السخرية عند المسيحيين رواجاً، لأنها كانت تعتبر فعلاً غير لائق بالمقارنة مع الصرامة التي مارستها الكنيسة على الأوروبيين ذاك الوقت، لذلك حل هوبز (1588-1679) السخرية من جانبيها الإيجابي والسلبي في كتابه الليفياتان ، فالضحك الناتج عن السخرية "إما ينتج عن عمل فجائي قام به الأشخاص بأنفسهم فأرضاهم وإما أن يكون ناتج عن إدراك تشوه ما في الآخر، يصفقون فجأة لأنفسهم لأنهم يقيسونها بتشوه

<sup>1</sup> إميل برييه، "تاريخ الفلسفة"، ت. جورج طرايشي، دار الطليعة، بيروت، د. ط، د.س، ج 2، ص 22.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 19.

آخر»<sup>1</sup> ، وعليه " فإن الإفراط في الضحك على عيوب الآخرين هو علامة صغر نفس"<sup>2</sup>، ومن هنا نستنتج عند هوبز نوعين من السخرية الإيجابي الذي يكون بصفة غير متعمدة ويؤدي إلى الراحة النفسية والنوع الآخر وهو السلبي و المتمثل في السخرية من الآخرين بغرض الإغلاء من النفس، "إذن فنظريات الفكاهة والضحك كانت مظلمة في أوروبا في العصر الوسيط في حين أصبح المسلمون أكثر ألفة بأفكار أرسطو عن طريق ترجمة كتاب فن الشعر وظهرت إسهامات مهمة حول الفكاهة على يد مفكرين أمثال الجاحظ وأبي حيان التوحيدي وغيرهما"<sup>3</sup>، أما في عصر الأنوار فقد "طرح الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (1724-1804) نظرية حول النكتة وقد ظهر هذا الطرح في كتابه حول علم الجمال المسمى (نقد ملكة الحكم) إذ يرى كانط أن المتعة التي يحصل عليها المرء من النكتة لا تكون بعمق المتعة التي يحصل عليها نتيجة تلك البهجة الناتجة من الجمال أو الحيز الأخلاقي"<sup>4</sup>، لكن أليست النكتة أو السخرية ناتجة عن أفكار عقلية؟ "يجيبنا كانط بأن النكتة و إن كانت ناتجة من اللعب العقلي للأفكار فإنها تمثل كذلك نوعا من الإشباع الحسي الذي يقوم على أساس مشاعر الصحة أو الشعور بحسن الحال وينمي بداخله حالة خاصة من التوقع تتعلق بالانتظار إلى النقطة التي سيتغير الأمر عندها وعند حد ذروة النكتة يتبدد ذلك التوقع فجأة ويفضي الأمر كله إلى لا شيء"<sup>5</sup>بمعنى أن الفكاهة حسب كانط حتى وإن كانت نتاجا عقليا إلا أن هذا لا ينفي كونها تلبي إشباعا حسيا ، ذلك أنها تشعر الشخص بالسعادة والراحة لمجرد قولها والضحك عليها، لأنها نوع من التفريج، لكن بعد الضحك سننتقل هنا إلى الحد الأخير للنكتة ونصل إلى مرحلة اللاشيء، ، لقد "أطلق على نظرية كانط الخاصة

<sup>1</sup>توماس هوبز، "الليفياتان"، ت. ديانا حرب وبشرى حرب، كلمة ودار الفارابي، أبو ظبي، ط1، 2011، ص66.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص67.

<sup>3</sup>ضياء مصطفى، السخرية في البرامج التلفزيونية، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط1، 2004، ص122.

<sup>4</sup>المرجع نفسه، ص123.

<sup>5</sup>المرجع نفسه، ص123.

بالضحك بنظرية اللاشيء، حيث يحل اللاشيء محل ذلك الشيء الذي كان متوقعا، ومن إدراكنا للتناقض المفاجئ بينهما حدث الضحك<sup>1</sup>، أي أن الضحك ينتج عما هو لا متوقع، فعندما يتوقع الشخص شيئا ويحدث عكسه بطريقة مفاجئة هنا يحدث الضحك.

أما هيغل (1770-1831) فقد كان له رأي يعلي من قيمة السخرية لقوله : «هذا اللون الأقصى من المذهب الذاتي لا يمكن أن ينشأ إلا في مرحلة الثقافة المتقدمة عندما يفقد الإيمان بجديته وتكون ماهيته هي عبارة : "كل شيء باطل"<sup>2</sup>، أي أنه لا بد من توفر قدر عالي من الوعي والإلمام من أجل إنشاء السخرية، وأن يحل مكان الإيمان المطلق إيمان بأن كل ما يوجد قابل للدحض والشك ، أما بالنسبة "لبداية وحتى منتصف القرن التاسع عشر، فقد أثارت السخرية اهتماما كبيرا عند الفلاسفة الشعراء، خصوصا نوفاليس، هلدلن، وفردريك شليغل، لقد طارد هؤلاء المفكرون الإشكاليات التي ورثوها وفق رؤيتهم عن فلسفة كانط النقدية ، مثال : متناقضات الذات والموضوع، الحرية والحتمية، وإشكاليات الفكر الساعي دوما وراء الحقيقة رغم التناهي البشري، من هنا جاء افتتانهم بأعماق الشك المسببة للدوار، التعمق التأويلي التي يلجها التأمل في هذا الأمر"<sup>3</sup>، بمعنى أن الفلاسفة الرومانسيون قد تأثروا بفلسفة كانط وخصوصا الإشكاليات التي عالجها مما أدى بهم ذلك البحث المستمر عن الحقيقة إلى تبني الشك نظرا لعدم وجود حقيقة مطلقة، وتبنيهم أيضا للتأويل والذي يكون نتيجة الاقتناع بنسبية الحقيقة مما جعل "هيغل وكيركغارد يهاجمون هذا الضرب من الفكر بسبب نتائجه الارتياحية"<sup>4</sup> خاصة وأن هذا يناقض تماما فكرة الحقيقة المطلقة عند هيغل.

<sup>1</sup> ضياء مصطفى، السخرية في البرامج التلفزيونية، مرجع سابق، ص 123.

<sup>2</sup> جورج ويليم فريدريك هيغل، أصول فلسفة الحق، ت. إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، ط3، 2007، ص 313.

<sup>3</sup> تد هوندرتش، دليل أكسفورد، ج 1، مرجع سابق، ص 465.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 465.

وعلى ذكر كيركغارد (1813-1855) فقد اشتغل هذا الأخير أيضا على السخرية وتميزت فلسفته بالطابع التهكمي، حيث كان "موضوع أطروحته للدكتوراة حول مفهوم التهكم إلى سقراط بصفة خاصة"<sup>1</sup> غير أن تلك الأطروحة "لم تكن قاصرة على التهكم السقراطي بل كانت تمتد أيضا إلى تناول التهكم الرومانتيكي الذي يتبدى من الحركة الرومانسية الألمانية التي كانت سائدة ونمطية في ذلك الوقت"<sup>2</sup> إن كيركغارد "قد كان دائم التهكم والاحتقار للعالم السطحي عالم القناعات المعتادة لدى الناس العاديين.. وهو يقرأ جدارات الشعر، وهكذا كان رومانسيا تماما لكنه يذهب إلى أن الشعر يجب أن يرسو على شاطئ الواقع، وإلى هذا الحد كان كيركغارد واقعا أيضا"<sup>3</sup>، إذن فكيركغارد لم يكن بعيدا كل البعد عن الواقعية كما فعل الرومانسيون، بل نرى أيضا أنه بالرغم من نزعتة الرومانسية إلا أنه كان لا يلغي واجب الشعر بأن يكون لصيقا بواقعه وكأنه هنا يذكرنا بسارتر فيما بعد الذي تحدث عن الالتزام وضرورته في الأدب يقول كيركغارد: "«حيث توجد الحياة يوجد التناقض وحيث يوجد التناقض يكون المضحك موجودا<sup>4</sup>»"، أي أن السخرية ما وجدت إلا لسد نقص ما، نقص التناقض والثغرات الموجودة في هذه الحياة وكأنه يقول بأن السخرية ما وجدت إلا لتكون متنفسا للإنسان أثناء اصطدامه بما لا تتقبله ولا تتحملة ذاته، ولقد أتى هنري برغسون (1859-1941) أيضا بنظرية حول الضحك التي طورها في كتابه (الضحك) الذي عالج فيه مسألة الهزل والسخرية بالرغم من أن الضحك يبدو موضوعا هامشيا وبسيطا إلا أن برغسون لا ينفي أهمية دراسته، لقوله: "«...إننا نرى فيها -أي الأصالة الهزلية- قبل كل شيء شيئا حيا ونحن نعالجها مهما كانت خفيفة»"<sup>5</sup> وهو يخص الهزل بأنه إنساني لقوله:

<sup>1</sup> فريتيوف برانت، "كيركغارد"، ت. مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلية، مصر، ط1، 2009، ص25.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص26.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص29.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص124.

<sup>5</sup> هنري برغسون، "الضحك"، ت. علي مطر، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، د.ب، د. ط، د.س، ص09.

«لا شيء هزلي خارج ما هو بشري بشكل خاص»<sup>1</sup>، ويفسر فعل الضحك بأنه ناتج عن تغير يطرأ في شيء ما، كسقوط شخص ما، هذا سيجعل المارة يضحكون لأن فعل السقوط كان مفاجئاً وغير منتظر مما سيثير فينا الضحك، إنه يرى بأن الضحك يخفف من مشاكل الإنسان لأنه يشعره باللامبالاة، أي أنه مثل الفسحة، إنه خروج من ضغوطات الحياة لفترة وجيزة، كذلك يعتبر برغسون الهزل أو التهكم كمربي أو كمصلح اجتماعي ، فالضحك على السلوك الشاذ يشعر الشخص الفاعل بالخجل مما يؤدي به إلى عدم تكرارها أمام الناس.

<sup>1</sup>المرجع نفسه، ص10.

## الفصل الثاني

تجليات السخرية في فلسفة سيوران

## تمهيد

لقد عرفت السخرية كما رأينا في الفصل الأول في التنظير الفلسفي وتلقت إقبالا عند بعض الفلاسفة فهناك من جعلها كمنهج مثلما نجد عند سقراط وهناك من قام بتحليل ميكانيزما السخرية في فلسفة الضحك عند برغسون وغيرهم من الفلاسفة، والآن سننتقل في هذا الفصل إلى كيف تعامل سيوران مع السخرية طالما أن فلسفته قد اتسمت بهذا الطابع الساخر التهكمي؟ ، ومنه فقد احتوى هذا الفصل على ثلاثة مباحث، مبحث نبين فيه موقف سيوران العدمي، منتقلين إلى المبحث الثاني الذي يحلل فيه سيوران فكرة الولادة وكيف أن الإنسان قد جيء إلى هذا العالم والموقف العدمي من هذه الفكرة، وصولا إلى المبحث الثالث الذي يكون بمثابة إجابة أو ملخص حول فلسفة السخرية عند سيوران وكيف بإمكان هذه الأخيرة أن تكون الملاذ الذي يستظل فيه الإنسان لمواصلة رحلته في هذا الوجود.

## المبحث الأول: التأسيس العبثي.

إن الحديث عن إميل سيوران\* يحثنا دائماً إلى التساؤل عن لمّ قد تميزت فلسفته وحياته بهذا التناغم الذي يصبغ كتاباته، حيث أننا هنا لن نزل حياة الفيلسوف عن نتاجاته الفكرية، ذلك أن الفلسفة ما هي إلا نتاج خبرات حياته، فتتجسد في شكل أفكار، وسيوران لم يكن مثله كمثل أغلب الفلاسفة، بل قد كان مختلفاً عنهم في العديد من النواحي، كونه لم يتخذ من الكتابة الأكاديمية والنسقية أداة للتعبير عن أفكاره، بل إنه عُرف ككاتب وأديب وفيلسوف لأنه قد اتخذ من الكتابة الشذرية ملجأً لأفكاره، لذا فقد كان سيوران ضد النسق الفلسفي وضد النسق ككل، وهذا الرفض لكل ما هو "منطقي" ما هو إلا نتيجة عن رأيه في هذا العالم، الذي ما هو إلا عبث، هذا الحكم ناتج عن بحثه في الوجود، وكما ذكرنا من قبل بأن حياة الفيلسوف لها دور كبير في توجهاته الفكرية، فإن سيوران قد مر بمراحل جعلته يتخذ هذا الموقف العبثي للحياة.

ولكن قبل ذكر هذه العوامل لا بد من التفريق بين العدم والعبث، حيث أن العبث نتاج لما هو عدمي، لذا فإن العدم حسب معجم صليبيا هو "ضد الوجود، وهو مطلق أو إضافي، فالعدم المطلق هو الذي لا يضاف إلى شيء، والعدم الإضافي أو المقيد هو المضاف إلى شيء كقولنا: عدم الأمن، وعدم الاستقرار وعدم التأثير"<sup>1</sup> وما يهمنا هنا هو العدم المطلق الذي يعني كل ما هو غير موجود، وهذا يحيلنا إلى العدمية الفلسفية "Nihilisme philosophique"<sup>2</sup>

\* ولد إميل ميشال سيوران يوم 8 أبريل 1911 في رازيناري وهي قرية في مقاطعة ترانسلفانيا الرومانية "، " دُرس الفلسفة أولاً في بخارست، ثم في باريس حيث أقام بصفة ثمانية ابتداء من عام 1937، وضع كتابه الأول بالرومانية حول جرائم الألبس (1933) وكان بمثابة مرافعة متكاملة ضد جميع الأوهام التي يعامل بها الإنسان نفسه ليبرر وجوده في العالم، وندّد ب (الإيديولوجيات والمذاهب والهزليات الدرامية)، وعلى الأخص في الوجيز في التحليل (بالفرنسية 1949) الذي ينم عن (هوى حقيقي باللامبالاة) ويأخذ فيه الإنسان بعد (اللاشيء) في مسار التاريخ وبالإضافة إلى لا تناهي الزمان، وقد عبّر أيضاً عن مثل هذا الموقف العدمي الذي ينزع إلى أن يجعل من البشر (أبطالاً قمرين للافضول) في كتبه : أقيسة المارة (1952)، إغراء الوجود (1956)، التاريخ والبيوتوبيا (1960)، السقوط في الزمن (1965)، الفاطر الشرير (1969)، في ضرر أن يولد الإنسان (1973)، وكانت وفاته عام 1995 "

-إميل سيوران، "لو كان آدم سعيداً"، ت. محمد علي اليوسفي، أزمة-شذرات، عمان، 2014، ط2، ص9.

-جورج طرايشي، "معجم الفلاسفة"، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص384.

<sup>1</sup> جميل صليبيا، "المعجم الفلسفي"، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1986، د. ط، ج2، ص64.

<sup>2</sup> مرجع سابق، جميل صليبيا، "المعجم الفلسفي"، ص66.

التي تنقسم إلى قسمين فهي إما "مطلقة أو نقدية، الأولى تتميز بإنكار وجود كل شيء، والثانية تتميز بإنكار قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة وهي في كلا الحالتين مرادفة للمريبية (Scepticism)<sup>1</sup>، إذن فبعد استخلاص أن العدم المطلق يساوي أو هو نفسه عدم الوجود، فإن الفيلسوف الذي يرى أن الوجود مصيره العدم سيكون مقتنعا تماما بأن كل ما هو موجود هو عبثي، فالعبث هو وليد العدم، بما أن الحياة ما هي إلا رحلة إلى العدم فإنه لا هدف منها، وكل شيء فيها ما هو إلا عبث، وهذا ما سيدعو الفيلسوف إلى التشاؤم من مصير هذا العالم، لذا فأغلب الفلاسفة العدميين والعبثيين نجدهم يتخذون من المأساة والتراجيديا مواضيعا أو طابعا لكتابتهم، ومن هنا سنذكر بعض الفلسفات التي اتخذت من هذه المواضيع مسلكا لها والتي كان لهذه الأفكار الأثر الواضح أو الخفي على فلسفة إميل سيوران :

إن من أكثر الفلاسفة الذين تأثر بهم سيوران نجد الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (1788-1860) التي تميزت فلسفته بالطابع "التشاؤمي اليأس" -ونتحفظ على هذه العبارة إلى حين توضيح ذلك-، من أهم كتبه التي أوضح فيها توجهه الفلسفي من الحياة نجد كتابه "العالم إرادة وتمثلا"، حيث قام بدراسة تفصيلية أوضح فيها بأن العالم يتمثل لنا بصورة ذاتية، وهنا قد خالف هيغل الذي أقام فلسفته على الأسس الموضوعية، أما شوبنهاور فقد أقامها على المبادئ الذاتية، ذاتية الإنسان التي تختلف في رؤيتها للعالم من شخص إلى آخر "فهيغل حرص على أن يكون مذهبه لا شخصيا، وعلى أن تنسب إليه حقيقة موضوعية تعلق على الزمان والمكان، وإذا كان مذهب شوبنهاور قد افتقر إلى مثل هذه الحقيقة الموضوعية فلا جدال في أنه قد عوضها بحقيقة أخرى ذاتية تحسب فيها بحرارة الشخصية الإنسانية التي خلقت هذه الحقيقة وبصدقها وإخلاصها الكامل"<sup>2</sup>، وهنا يجدر بنا القول أو إقامة افتراض بأنه مهما أراد الإنسان أن يكون موضوعيا إلا أنه سيقع في شباك ذاتيته، لأنه لا مفر من "أنا"

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 66.

<sup>2</sup> فؤاد زكريا، "العالم إرادة وتمثلا لشوبنهاور"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1994، ص 15.

الإنسان، بدليل أن كل انطباعاتنا عن العالم الخارجي قد كان لها في البداية إسقاط ذاتي عليها، لذلك فمهما أردنا تخلص أنفسنا من هذه الذاتية إلا أننا سنبقى مأسورين بها لأنها تمثل الدعائم الأولى لمعرفتنا البشرية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نعود إلى كتاب شوبنهاور "العالم إرادة وتمثلاً" إننا خلال معرفتنا للعالم الخارجي الذي سيتمثل في ذاتنا ويتم إسقاطه عليها سيكون جسدنا هو الوساطة والذي تتحكم فيه الإرادة، ذلك الشيء غير المرئي وهي التي ستعطيه الإجابة عن سبب وجوده كفرد في هذا العالم وهذا من خلال قول شوبنهاور : «والإرادة وحدها هي ما يمكن أن يمنحه مفتاح تفسير ظاهرة وجوده وأفعاله وحركاته»<sup>1</sup>، إذن فالإرادة هذه الذات الكامنة في الإنسان هي من يسيّر جسده ولا يمكنها أن توجد في هذا العالم وتتجلى دون أن ترتبط بهذا الجسد، أي أنها ما يظهرنا للآخرين كأفراد، ومن هنا سيبدأ الشقاء واليأس في فلسفة شوبنهاور التي ترى بأن الإرادة هي سبب شقاء المرء، فالإرادة لا تساوي العقل وإنما هو سيصبح مجرد وسيلة تتحكم فيها هذه الإرادة، إنها أساس هذه الحياة، إنها إرادة الحياة التي لا يقيمها العقل ولا المنطق بإمكانه أن يتحكم فيها، وهذا هو سبب ذاتية معرفتنا، إرادة الحياة هذه ستتجر وراء شهوات ورغبات الفرد وستصبح عمياء لا ضابط لها، فسيصبح للحياة والموت والإرادة نفس الغاية، حيث أن هذه الإرادة ستجعل الإنسان يتألم ويعيش في ملل وحزن، ومن هنا اقد اقترح شوبنهاور حلاً للخلاص من سطوة هذه الإرادة الجامحة، إن "طريق الخلاص يقسم إلى مرحلتين : مرحلة مؤقتة ومرحلة نهائية كاملة، والمرحلتان معا تتميزان بمحاولة قمع أصل الشر في العالم وهو الإرادة"<sup>2</sup> يبدأ شوبنهاور بالفن كخلاص "فالفن.. يكون التحرر.. لأن الفن ينحصر في تأمل الصور بنظرة عيانية ووجدان خالص منزهين عن كل شهوة أو مشيئة، ففي التأمل الفني يصير الشيء الجزئي صورة نوعه دفعة واحدة"<sup>3</sup>، هنا تظهر الملامح المثالية لفكر شوبنهاور المشابه

<sup>1</sup> آرثر شوبنهاور، "العالم إرادة وتمثلاً"، ت. سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2006، ج1، ص194.

<sup>2</sup> فؤاد زكريا، "العالم إرادة وتمثلاً لشوبنهاور"، مرجع سابق، ص16.

<sup>3</sup> عبد الرحمن بدوي، "شوبنهاور"، وكالة المطبوعات-دار القلم، الكويت-لبنان، د.ط، د.س، ص122.

لأفلاطون، بالرغم من أن شوبنهاور قد رأى بأن الفن هو أرقى من الموجودات الحسية لأنه يعطي لنا الصورة الكلية والمثالية لهذه الجزئيات، فالفن هو "راحة مؤقتة في الحياة، ويتضح من هذا أن مفهوم الخلاص في الفن ذاتي"<sup>1</sup> لأنه سيعطي الراحة بصفة فردية فقط، لذلك يبقى مجرد أداة مؤقتة لراحة الفرد، وهذا ما سيجعلنا نبحث عن طريقة أخرى أكثر نجاعة وديمومة وهو ما سيتمثل في المرحلة الثانية من الخلاص والذي سنراه في الزهد على طريقة الديانة الهندية الجاينية، إذن "فالزهد سيكون غائياً أي أنه سيمثل كل ماهية وغاية الزاهد"<sup>2</sup>، وهذه طريق أخلاقية حيث سينتقل المرء من حالته الفردية إلى الحالة الجماعية، ومنه ستصبح الشفقة هي أساس ذلك والتي ستدفعه إلى الشعور بغيره، فيتألم لآلامهم ويعيش تعاستهم ويساندتهم في الضراء، ولكن المرء لن يستطيع تحمل كل هذه الآلام دفعة واحدة بمفرده، "وهنا سيبلغ الإنسان حالة العزوف الإرادي والاستسلام والهدوء الكامل والقهر التام للإرادة، ولمّا لم يكن الإنسان أصلاً إلا مظهراً للإرادة فإنه سيكف عن توجيه إرادته إلى أي شيء ويحذر من تعليق إرادته بأي شيء ويحاول أن ينمي في نفسه عدم الاكتراث التام بالأشياء جميعاً"<sup>3</sup>، وهذا ما سيجعله يصل إلى النيرفانا\*، إذن فإن الفرد يستطيع "أن يبلغ السلام والخلاص من رغباته بفضل النيرفانا، ولكن ما الذي سيخلص الإنسانية من أسر الإرادة؟"<sup>4</sup>، لو افترضنا فكرة الانتحار حلاً لما أمكنها من تخلص الإنسانية من شر الإرادة "فالانتحار مجرد انتصار فردي، لأن الإرادة لا تزال في حياة النوع، إن الحياة تضحك من

<sup>1</sup> وافي غريزي، "شوبنهاور وفلسفة التشاؤم"، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2008، ص.ص 203، 204.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 204.

\*المعنى الحرفي لكلمة "نيرفانا" هو "الإطفاء" أو "الإخماد"، مثلما ينطفئ لهب الشمعة.. ما ينطفئ في واقع الأمر، فهو ثالث نيران الطمع والكراهية والوهم الذي يؤدي إلى الميلاد المتكرر، وبالفعل فإن أبسط تعريف للنيرفانا في هذه الحياة هو "نهاية الطمع والكراهية والوهم".

-داميان كيون، "البوذية"، ت. صفية مختار، هنداوي، القاهرة، ط1، 2012، ص 66.

<sup>3</sup> فؤاد زكريا، "العالم إرادة وتمثلاً لشوبنهاور"، مرجع سابق، ص 31.

<sup>4</sup> ويل ديورانت، "قصة الفلسفة"، ت. فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط. 6، 1988، ص 439.

الانتحار وتبتسم للموت، لأن كل انتحار مقصود يتبعه آلاف المواليد غير المقصودة.. إن البؤس والكفاح يبقيان بعد موت الفرد.. ما دامت الإرادة تستعبد الإنسان وتسيطر عليه، ويستحيل الانتصار على أمراض الحياة إذا تم إخضاع الإرادة للمعرفة والعقل إخضاعاً تاماً<sup>1</sup>، إذن ما دام الانتحار لم يعد حلاً نظراً لأن نسبة المواليد ستزداد حتى ولو انتحر المرء فسيركز شوبنهاور على هذا الجانب-جانب النسل- ويرى بأن "الوسيلة الوحيدة والأخيرة لقهر الإرادة تكمن في إيقاف منبع الحياة وهو إرادة النسل، إن إشباع الغريزة الجنسية هو الملموم لأنه أقوى ما يقوي شهوة الحياة، ماذا جنى هؤلاء الأطفال لندفع بهم إلى الحياة وآلامها"<sup>2</sup>، إن موقف شوبنهاور تجاه الولادة موقف مخالف وهنا سيتأثر به إميل سيوران ويتجلى هذا في كتابه "مثالب الولادة" حيث سيكون له نفس الموقف المضاد للنسل كون أن الطفل حين ولادته سيكون مجرد ضحية، فهو قد أتى إلى هذا العالم دون إدراك ودون إرادة منه، لذا فسيكون لإيقاف النسل وإقامة حد للبشرية بإفنائها الحل الوحيد للتخلص من سطوة الإرادة، لأن شوبنهاور لم يتقبل هذه الحياة والآلام الناجمة منها، وهنا سننتقل إلى "فلسفة أخرى تنتصر على الألم لا بأن تقنيه ولكن بأن تعانيه وتعلو عليه وهذا ما فعله تلميذه نيتش"<sup>3</sup>، وقد تم وصف نيتش بتلميذ شوبنهاور نظراً لتأثره الشديد به في البداية وحتى بعد انقلابه عليه ظلت آثار شوبنهاور تصطبغ كتابات نيتش "لقد عثر نيتش على كتاب شوبنهاور -العالم إرادة وتمثلاً- عن طريق المصادفة في دار لبيع الكتب القديمة-، وعندما انتهى من قراءة الكتاب كتب في أوراقه الخاصة بحماس : «هنا يصرخ كل سطر عن رفض ونكران زاهد للذات، وترويض للنفس، هنا رأيت مرآة لمحت فيها العالم، والحياة، وروحي في تمجيد رهيب، هنا نظرت إلى عين الفن اللامبالية كلياً، هنا رأيت المرض والعلاج، المنفى والملاذ، الجحيم

<sup>1</sup> ويل ديورانت، "قصة الفلسفة"، مرجع سابق، ص 423.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 439.

<sup>3</sup> وفيق غريزي، "شوبنهاور وفلسفة التشاؤم"، مرجع سابق، ص 174.

والجنة.. كأن الكتاب مكتوب لي»<sup>1</sup>، لقد أعجب نيتش أيما إعجاب بكتاب شوبنهاور هذا وتأثر به في مناحي كثيرة في فلسفته، فأحد الأسباب التي جعلت نيتش يعجب بشوبنهاور هو رفضه للواقع، لأنه معروف عن نيتش تمرد و نزعة المخالفة للأعراف والقوانين السائدة، لهذا فقد تحمس كثيرا لشوبنهاور، وبدأ فلسفته متشائما، فأثر العزلة والتفرد على العيش مع المجتمع وهذا واضح في كتابه - هكذا تكلم زرادشت-، لما اختار زرادشت العزلة في قوله : " «عندما بلغ زرادشت الثلاثون عاما، ترك بيته وبحيرة بيته، وذهب إلى الجبال، هناك استمتع بروحه وعزلته، لمدة عشر سنوات بدون ملل»<sup>2</sup>، كما أنه قد رأى نفس نظرة شوبنهاور بأن هذه الحياة لا هدف منها، ويتجلى ذلك عندما خرج زرادشت لأول مرة أمام الملاء وعاد وبقي يناجي نفسه قائلا : " «إن وجود الإنسان مليء بالغرابة، وهو بدون معنى، بحيث أن لمهرج القدرة على القضاء عليها»<sup>3</sup>، لقد رأى نيتش بأن الحياة التي يعيشها الناس وهم موهومين بأكاذيبها خاصة فيما يتعلق بالأخلاق والأعراف والدين هي حياة غير جديرة بأن تعاش لذلك فقد كان يتوق نيتش إلى الإنسان الأعلى المتفوق الذي سيكون هو المحرر والمخلص مثلما جاء المسيح ليخلص البشر من الخطيئة حسب الديانة المسيحية، ومن حيث اتخاذ نيتش للمنحى التشاؤمي المتمرد على الحياة "فلا شك أن نيتش تأثر بتشاؤم شوبنهاور وبنظرة القائمة للحياة، ومن ثم فقد كان محقا عندما اعتبر نفسه خليفة لشوبنهاور خاصة لأنه ورث عنه فكرة الإرادة"<sup>4</sup>، لذلك فقد قام نيتش بكتابة كتابه "شوبنهاور مربيا" للاعتراف بفضل شوبنهاور واعتباره أفضل المرين، لكن لم يدم إعجاب نيتش به فقد انقلب هذا الأخير على شوبنهاور لأنه كان يحث على إقامة نهاية للحياة على عكسه هو الذي مجّد الحياة بالرغم من سلبياتها لذلك نجد نيتش "يعلي من شأن اللامعقول ويستحسنه.. ويحتقي بالعقل الحر الذي يتحرر من ثقافة متدهورة منحطة تخضع الإنسان لأخلاق معادية للحياة وتقلل

<sup>1</sup> فريدريك نيتش، "شوبنهاور مربيا"، ت. قحطان جاسم، دار أوما- دار الأمان، منشورات الاختلاف-منشورات ضفاف، العراق، المغرب، الجزائر، لبنان، ط1، 2016، ص08.

<sup>2</sup> Nietzsche Friedrich, "Thus spoke Zarathustra", T. Thomas Common, w. p, 1 March 2010, p11.

<sup>3</sup> Ibid, p19.

<sup>4</sup> وفيق غريزي، "شوبنهاور وفلسفة التشاؤم"، مرجع سابق، ص45.

من قيمة الحياة الواقعية الحسية الممكن معرفتها لصالح عالم المثل العليا<sup>1</sup> "إذن إذا كانت فلسفة شوبنهاور تسعى في النهاية إلى إيجاد مخرج من العالم وصراعاته فإن نيتش.. يسير في الطريق المضاد"<sup>2</sup>، وهذا ما نجده في نظريته العود الأبدي\*، وحتى لو اتفق نيتش مع شوبنهاور فيما يخص "أولوية الإرادة"<sup>3</sup> إلا أنه يمضي شوطاً أبعد، ويرى في الإرادة القوية أبرز سمات الإنسان الحر على حين أن شوبنهاور رأى في الإرادة مصدراً لكل شر<sup>4</sup>، وكما خالف نيتش الديانة المسيحية فقد تمرد أيضاً سيوران على هذه الديانة ورأى بأن المسيحيين قد تحailوا على الناس، فبعد فشلهم في إقامة مملكة للرب في قلوبهم ذهبوا إلى فكرة إقامتها في المستقبل فيما يتمثل في الفردوس، وكذلك من الأسباب التي جعلت سيوران يرفض المسيحية هو فكرتها في مناهضة الشر والعمل على محاربتة حيث يرى بأنها فكرة غير واقعية لأن الشر جزء من شخصية الإنسان، والقضاء عليه هو قضاء على الإنسانية أيضاً وهو نفس موقف نيتش أيضاً تجاه فكرة الشر التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من شخصية الإنسان، كما نلاحظ أيضاً أن سيوران قد تأثر بنيتش من خلال الكتابة الشذرية فأخذت كتابات سيوران طابعاً شذرياً مثلما كانت كتابات نيتش، ونلاحظ أيضاً أن سيوران قد تأثر بالفلسفة الهندية والديانة البوذية مثلما كان شوبنهاور متأثراً بها ذلك أن البوذية قد فهمت

<sup>1</sup> روبرت تسيمر، "في صحبة الفلاسفة"، دار الحكمة، لندن، ط1، 2011، ج1، ص ص 191-192.

<sup>2</sup> برتراند راسل، "حكمة الغرب"، ت. فؤاد زكريا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1983، ج2، ص 148.

\*"العود هو الرجوع إلى الحياة بعد الموت الحقيقي أو الظاهر، وهو مرادف البعث"، فالعود الأبدي هو إذن خير تعبير عن خلود هذه الحياة، وخلود كل لحظة من لحظاتها. فهو قمة الإيجاب.. في نظرنا للحياة، بينما كانت دعوات الخلود السابقة ترتبط دائماً بالنزعة الزاهدة إلى إنكار الحياة".

-جميل صليبا، "المعجم الفلسفي"، دار الكتاب اللبناني، لبنان، د.ط، 1986، ج2، ص 113.

-فؤاد زكريا، "نيتشه"، هندأوي، مصر، ط2، 2017، ج1، ص 125.

<sup>3</sup> برتراند راسل، "حكمة الغرب"، ج2، مرجع سابق، ص 149.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 149.

مغزى الحياة ولم تشجع النسل مثلما فعلت نظيرتها الديانة المسيحية، ولا يخفى عنا بأن سيوران قد كان يتقن اللغة الألمانية مما جعله يطلع على كتب فلاسفتها ويتأثر بهم.

ومن الفلاسفة غير الألمان الذين تأثر بهم سيوران وأخذوا أيضا منحى عدما تشاؤميا نجد الفيلسوف سورين كيركغارد (1813-1855)، الذي آثر أن يجعل من حياته فلسفة، أي حوّل تلك الخبرة التي عاشها إلى فلسفة، حيث كانت فلسفته تتميز بالطابع الذاتي والذي يميل إلى الكتابة الأدبية أكثر من الكتابة التي تتميز بالنسق الفلسفي، فكانت كتاباته أدبية تحمل ثقلا فلسفيا، مثله مثل العديد من الفلاسفة كنييتش وسيوران وسارتر وكامو اللذان عبّرا هذان الأخيران عن فلسفتهم بالكتابة المسرحية.

لقد تميزت شخصية كيركغارد بميلها إلى اليأس والحزن، فقد كان يعاني اكتئابا عميقا ومزاجا سوداويا، مما جعله يهتم بالقضايا الفلسفية التي تتعلق بهذه الجوانب (اليأس، الموت، القلق... إلخ)، وهي نفس الأفكار التي شغلت الفيلسوف سيوران، وهو مثله مثل كيركغارد الذي لم تكن تغره الجوائز والمناصب التي يجري خلفها الناس، فقد اعتبر كيركغارد "نفسه معتزلا للحياة، مستعدا لتقبل التهكم العلني، ومستغنيا عن الارتباطات الاجتماعية، كما كان مستغن أيضا عن أي سلك وظيفي"<sup>1</sup>، لقد كان يميل إلى عدم المبالاة والترفع عما كان يشغل أغلب الناس، وبالرغم من المعاناة التي شهدتها في حياته إلا أنه لم يلغ دور الألم واعترف به، حيث رأى أن "الطريق إلى الصفاء والصفوة هو الألم والخطيئة المفضيان إلى الألم"<sup>2</sup>، وكأنه ينسب للألم الدور في تطهير النفس وخلوها من الشوائب، "إنه يعتقد بأن اليأس يخدم غرضا في تطوير الذات"<sup>3</sup>، وإذا أردنا أن نبحث عن السبب الرئيسي لإنتاج العبقرية والإبداع عند

<sup>1</sup> روبرت تسيمر، "في صحبة الفلاسفة"، ت. عبد الله محمد أبو هشه، دار الحكمة، لندن، ط1، 2011، ج1، ص ص 157-158.

<sup>2</sup> مصطفى غلوش، "الوجودية في الميزان"، وزارة الأوقاف، مصر، د.ط، 1985، ص32.

<sup>3</sup>Anoop gupta, "Kierkegard's romantic legacy", University of ottawa press, canada, w.p, 2005, p08.

الشاعر أو الفنان بصفة عامة، "لم نجد شيئاً سوى ذلك الألم الذي اجتاح نفسه فميزها"<sup>1</sup>، وبالرغم من تحليل كيركغارد المغاير لظاهرة الألم إلا أنه لم يلقى رواجاً في الفلسفة مثلما لقيه في وقتنا الحالي، نظراً إلى أن عصرنا أحوج للمواساة وتقبل الواقع على ما عليه رغم التغيرات التي تحدث ورغم الحروب والمآسي التي تصاحب الإنسان، حيث طغت التكنولوجيا والمادة وجعلت الإنسان أسير أحزانه بالرغم من توفر الوسائل التي سهلت عليه حياته، لذلك ينبغي استغلال ذلك الألم من جانب أكثر تفاؤلاً يستثمر الألم لتنمية الذات. ومن ناحية أخرى ننتقل إلى الجانب الأدبي حيث قد تأثر سيوران كثيراً بأحد الكتاب الروس والذي عُرف أيضاً بكتاباتة التي تحمل في ظاهرها بعداً تشاؤمياً، إنه دوستوفسكي\* صاحب رواية "الجريمة والعقاب"، و الذي لطالما قد تميزت كتاباته بذلك الشعور الذي تتركه في القارئ بأن صاحبها كان يشعر بضجر عميق، لطالما صوّر لنا الأدب الروسي الواقع المعاش بتلك الطريقة التفصيلية التي تصف حياة الناس الصعبة والتعيسة والتي تصوّر لنا معاناة الفقراء والعاملين، إن سيوران لا يرى دوستوفسكي ككاتب فقط، بل هو يراه من أفضل الفلاسفة، كيف لا وقد عالج في كتاباته القضايا الوجودية والفلسفية بعمق فلسفي ذا عباءة أدبية.

وبالرغم من وجود شخصيات فلسفية وأدبية قد صبت تأثيرها على سيوران، إلا أن هناك عامل أهم من هذا وهو الذي يجعله يميل إلى أمثال هؤلاء الكتاب الذين تتميز كتاباتهم بطابع المعاناة والألم، هذا العامل هو ما نجده متمثلاً في الحياة الخاصة التي عاشها سيوران وتكوينه النفسي والشخصي، إذ أنه لولا تلك المطبات واللحظات الوجودية التي عاشها والتي

<sup>1</sup> مصطفى غلوش، "الوجودية"، مرجع سابق، ص 32.

\*"فيودور دوستوفسكي 1821-1881" كاتب روسي و"واحد من أكثر الأساتذة الروس تأثيراً وأوسعهم انتشاراً في كافة دروب المجتمع الروسي".

-تشارلز أ. موزر، "تاريخ الأدب الروسي"، ت. شوكت يوسف، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، 2011، ص 257.

-مارك سلونيم، "مجمّل تاريخ الأدب الروسي"، صفوت عزيز جرجس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، د.ط، 2012، ص 134.

صنعت شخصيته لما أمكننا من معرفة السبب الرئيسي خلف كتابات إميل سيوران، ومن هذا المنطلق فقد مر سيوران بمراحل وأسباب بقت ذات أثر فيه، يُقسّمها آدم فتحي\* إلى خمسة انسلخات جرت في حياته، والسادس خفي -نجل هذا الانسلخ السادس فيما يسمى بالحرب العالمية كيف أثرت في ميوله العدمي وعلاقته بأدولف هتلر- ، أما عن الانسلخات الخمسة فهي كالتالي :

### 1/ الانسلخ الأول : رحيله من بلدته رازيناري التي كان يرى فيها الفردوس، فقد كانت

أيام طفولته هي الأفضل على الإطلاق بالنسبة إليه حيث "يؤكد أنه كان يلهو كثيرا، فما كانت هواياته يا ترى؟"، يقول أنه كان يحب لعب كرة القدم ولكن بجماجم بشري، ذلك أن بيته كان يقع بالقرب من المقبرة وكان من عاداته مشاهدة مواكب الدفن أثناء مرورها"<sup>1</sup>، هذا الارتباط بين سيوران والموت جعل "عالم الموت مألوفا له، وكان حفار القبور يعيره للتسلية ذلك النوع الغريب من الكرات"<sup>2</sup>، إن رحيله من بلدته جعله يشعر بحزن كبير، "وكانت تلك أول المحن التي تركت في نفسه وفي كتاباته فيما بعد أثرا لا يمحي، لقد عاش سيوران بذلك (لحظة اقتلاع جذور)، بآتم معنى الكلمة.. حين اضطراره إلى الرحيل إلى سيبيو المدينة الكبيرة.. هناك واجه معنى التحول الأول، فقدان الطفولة بشكل قاس ونهائي، الانسلخ من كيان إلى كيان"<sup>3</sup>، حيث لن يعود إلى مسقط رأسه مجددا.

### 2/ الانسلخ الثاني : لا يخفى عنا أن سيوران قد عاش طفولة متناقضة، ذلك أن

والده كان قسا في كنيسة أما والدته فقد كانت تظهر ذلك الامتعاظ وسوء ظنها بالديانات،

\*شاعر تونسي (1957) له إسهامات في المقالة الصحفية والدراسة النقدية والقصة، قام بترجمة بعض أعمال

سيوران: المياه كلها بلون الغرق، مثالب الولادة، اعترافات ولعنات، تاريخ ويوتوبيا.

-إميل سيوران، "المياه كلها بلون الغرق"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، ألمانيا، د.ط، 2002، ص 04.

<sup>1</sup> نانسي هيوستن، "أساتذة اليأس"، ت. وليد السويكري، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، ط 1،

2012، ص 98.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 98.

<sup>3</sup> إميل سيوران، "المياه كلها بلون الغرق"، مرجع سابق، ص 09.

فعاش سيوران صراعاً بين الدين وإنكاره، هذا زرع فيه التناقض الذي يميز شخصيته، ومن هنا وفي مرحلة العشرين من عمره "حمي الوطيس بين الأم وبين سيوران ذات يوم، فصرخت في وجهه : « لو كنت أعلم ماسيؤول إليه حالك لأجهضتك منذ شهور الحمل الأولى »<sup>1</sup>، هذه الجملة التي خاطبتها به أمه قد أثرت فيه كثيراً، فهو لم يحملها محمل الغضب بل جعلته يشعر بمدى سخرية الأمر، حيث أن قراراً كهذا بإجهاضه قادر على أن يجعله غير موجود، وكيف أن وجوده مجرد عبث فقط، "لقد وضعتك تلك الكلمات في مواجهة تحول آخر، انسلاخ ثان، الانسلاخ من الطمأنينة، طمأنينة النفس، ذلك اليقين الخفي بأنه لم يوجد عبثاً، هكذا إذن كان من الممكن أن يموت قبل أن يولد، أن يُلقى به خارج الرحم لمجرد رغبة أو نزوة.. ظلت تلك العبارة تسكن أعماق سيوران.. حتى أعاد صياغتها.. بعد سنوات طويلة قائلاً : « في وسعي أن ارتكب الجرائم كلها باستثناء أن أكون أباً »<sup>2</sup>، تلك العبارة جعلته يتخذ ذلك الموقف السلبي من فعل الولادة حيث بدا ذلك الرفض واضحاً في كل كتبه وبالأخص كتاب مثالب الولادة.

### 3/ الانسلاخ الثالث : بعد انتقاله إلى سيبير ومكوته فيها حتى أنه تعود على تلك

المدينة، سافر إلى بوخارست لدراسة الفلسفة، في ذلك الوقت "عرف سيوران أول أعراض المرض الذي سيصاحبه إلى النهاية والذي سيغير نظرتة إلى كل شيء : مرض الأرق فقدان نعمة النوم"<sup>3</sup>، الذي جعله يشعر بمدى ثقل تلك الساعات التي تمضي، خاصة وأنه كان يعاني دائماً من القلق الذي جعل تلك الليالي تمر عليه بصعوبة إلى درجة أنه قد "فكر في الانتحار ، لكن فيما بعد ما سيجد الحل، العمل بنصيحة نيتش : تحويل ليالي الأرق الطويلة إلى وسيلة للمعرفة"<sup>4</sup>، فقد وجد في الكتابة الملجأ والمخلص من تلك الأفكار السلبية التي كانت تعشش في دماغه فاختر أن ينتحر بطريقته ألا وهي إخراج تلك الأفكار في شكل

<sup>1</sup> إميل سيوران، "المياه كلها بلون الغرق" ، مرجع سابق، ص10.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص11.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص ص 11-12.

<sup>4</sup> الكرجع نفسه، ص12.

كتابة "وفي تلك الفترة ألف باللغة الرومانية كتابه الأول (على ذرى اليأس) الذي نشره سنة 1934"<sup>1</sup>، إن تجربة الأرق التي مر عليها سيوران جعلته يفهم "بطلان الفلسفة، ليست ساعات السهر في آخر الأمر سوى حيز لا ينتهي من رفض الفكر للفكر، إنها الوعي وقد ضاق بالوعي"<sup>2</sup>، لأن الأرق أحيانا كثيرة يكون بسبب التفكير المفرط، إنه يجسد فشل الفلسفة والفكر، حيث يخرج ذلك التفكير عن نطاقه فلا يكون للفلسفة أي تأثير لإيقافه، وكأنه تمرد الفكر على الفكر.

**4/ الانسلاخ الرابع :** فيما بعد تلقى سيوران منحة في معهد بوخارست في فرنسا بعد أن كان مقيما في برلين، وعند إعداده لأطروحته في فرنسا كان يواصل تأليف كتبه بلغته الأم الإيطالية، لكن حدث تغير حيث أنه توصل "إلى يقين موجه : من الأفضل أن يكون المرء مؤلف أوبريت على أن يكون صاحب ستة كتب في لغة لا يفهمها أحد"<sup>3</sup>، وكأنه شعر بأن مجهوده في الكتابة ذلك لم يتلق قراء له ولم يجد آذانا صاغية لمآسيه و"هكذا أخذ سيوران طريق تحوله الجديد، انسلاخه الرابع والحاسم، انسلاخه الاختياري هذه المرة : الخروج من لغة إلى لغة، أي من هوية إلى هوية مع ما يعني ذلك من إحساس الغربة والتمزق لن يفارقه مدى الحياة"<sup>4</sup> ناهيك عن غريته عن وطنه فقد أصبح أيضا غريب اللسان خاصة وأن الكتابة بالنسبة إليه كانت وسيلة لإخراج مكبوتاته، وسيلة للحديث مع نفسه، أصبح إذن غريبا حتى عن نفسه باختياره الكتابة بلغة غير لغته الأم.

**5/ الانسلاخ الخامس :** إن بدايات سيوران في التأليف لم تعرف روجا كبيرا بين القراء، خاصة أنه لم يكن ذلك الشخص الاجتماعي الذي يهوى المقابلات والظهور للعلن، "فهو على النقيض تماما من سارتر الذي كان أيامها سيد المشهد، لم يؤمن سيوران بالشارع

<sup>1</sup> إميل سيوران، "المياه كلها بلون الغرق"، مرجع سابق، ص 12.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص ص 12-13.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 14.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 14.

أو بالرأي العام وهو من هذه الناحية تلميذ نيتش النجيب"<sup>1</sup>، حيث أن سيوران كان يرى بأن الكتاب المميزون هم من لم يكن لهم قراء كثر، لكن من ناحية أخرى كان يريد سيوران أن يكون له قراء من فئة الشباب لذلك أراد نشر كتابه "رسالة في التحلل" في ضمن ما يسمى بكتب الجيب التي كانت رائجة بين الشباب، مما جعل كتابه يعرف إقبالا كبيرا وانتشارا خاصة الشباب مرتادوا سلسلة كتب الجيب، وهذا ما جعله يشعر بالتكريس وكان هذا قبل وفاته بقليل "وها هو بموته يتحول إلى أسطورة لن تجد من يحاربها بعده ولعله انسلخه الأخير" حيث غادر هذا الوجود كشخص ولكن اسمه لم يغادره.

هذه كانت الانسلاخات التي مر بها سيوران حسب تقسيم آدم فتحي، ونحن نجمل أغلبها تحت سبب واحد ألا وهو الحرب العالمية التي كانت سببا في أن تخلى سيوران عن بلده ولم يستطع العودة إليها مجددا، وكأنه كان يعيش المنفى، كل هذه الانسلاخات جعلت منه فيلسوفا أكثر عمقا جعلت كتاباته تحمل ألم الجرح، لقوله: " « أحب الفكر الذي يحافظ على نسيم اللحم والدم »"<sup>2</sup> تلك الكتابة التي تحافظ على ذلك العمق الذي يحمل في طياته حزنا ويأسا، إنها الكتابة الحقيقية الناتجة عن خبرة وتجربة.

كل هذه المحطات قد ساعدت في تأسيس الفكر العبثي والعدمي لدى إميل سيوران، لكن لماذا يتم وصف فلسفات مثل فلسفة سيوران ومن سبقه من العدميين والذين اتسمت فلسفتهم بالعمق بأنها كانت تشاؤمية؟، أليست التشاؤمية نتاجا عن تراكمات الواقع عند الفيلسوف فقام بإخراجها أفكارا؟، إن التشاؤم هو إفراط في الواقعية وتعمق فيها، إنه الواقع يتحدث دون تزييف أو نفاق.

فكل من يقرأ كتب سيوران بعمق وتروي سيتوصل إلى فهم المقصد من فلسفته بأنها لم تكن تشاؤمية بالمعنى السلبي، بل هي تجعلنا نقوى على احتمال الواقع بصورته الحقيقية

<sup>1</sup> إميل سيوران، "المياه كلها بلون الغرق"، مرجع سابق، ص 15.

<sup>2</sup> Emil cioran, "On the heights of despair", T.Ilinca zarifopol-Jonhston, The university of chicago , chicago and london , 1992, w.p, p16.

ونأخذ احتياطاتنا من أي مكروه سيصيبنا دون التشبث بأكاذيب تصور لنا الواقع من الجانب الجميل فقط وعند الاصطدام بمجرد حادثة سيئة سينهار المرء لأنه لم يأخذ احتياطاته في تقبل الواقع الذي يزاوج بين الموجب والسالب، إن هذا النوع من الفطنة والتعمق الذي يسمونه سطحيا (بالتشاؤم)، له فائدة نفسية للفرد فيجعله أشد قوة وتعقلا في تحمل مشاكل الواقع وإيجاد حل حكيم لها، كما أن توقع الاحتمالات السيئة تجعل المرء يكتسب مناعة نفسية، فمهما كانت أحداث الواقع سيكون مستعدا لها وسيتجنب الانهيارات النفسية، لكن يبقى ذلك الفعل جيدا عندما يخدم المرء، أما عندما يجعل منها مأساة متتالية لا سعادة فيها فإن هذا سيكون الوجه السلبي للتشاؤم.

## المبحث الثاني: مأساة أن يولد الإنسان .

إن الحديث عن واقعية الفلسفة التشاؤمية يدعونا إلى استحضار الفلسفة العدمية عند سيوران والذي يلقب عند الأكثرية برسول العدم نظرا لفلسفته التي تصب أهدافها دوما في مجرى العدمية.

إنه يعيد طرح سؤال الكينونة، لماذا هذا الوجود؟، حيث يرى بأن النهاية الحتمية لهذا العالم هي اللاشيء، وهذا ما يجعل نظرتة للحياة نظرة سلبية وأنه لا جدوى منها، حيث يقول : « أنا لا أفهم لماذا يجب أن نفعل شيئا في هذا العالم، لماذا يجب أن يكون لدينا أصدقاء وتطلعات وآمال وأحلام »<sup>1</sup> ، إن سيوران يحاول التخلص من تلك النظرة التراجيدية التي ألبسها الغرب حول مفهوم العدم مبينا ذلك من خلال تأثره بالفلسفة الهندوسية قائلا : « العدم في نظر البوذية (بل في نظر الشرق عموما) لا يحمل تلك الدلالة الكارثية التي ننسبها إليه، إنه لا وجود فائق الإيجابية سخي بسعادة لا مادة لها ولا قوام ولا نقطة ارتكاز في أي عالم من العوالم »<sup>2</sup>، إنه الخلاص "النيرفانا" حيث يتحرر كل ما هو موجود من القيود الزمكانية التي صنعتها له الكينونة ليصبح لا شيء، وما أثقل كلمة اللاشيء هذه عند سيوران، حيث أنه يفضل أن يكون لا حدث بدل أن يصبح محاصرا في هذا الوجود، إنه يعتبر أن وجود المرء هو نفي وقييد لحريته "إنه يساوي العذاب"<sup>3</sup>، لذا فهو يرى بأنه لا بد من أن يحل الخلاص لتحرير الإنسان حيث يقول : «الخلاص ينهي كل شيء وينهينا»<sup>4</sup>، إن راحة الإنسان في إعلان نهايته وخروجه من عالم الوجود، لكن بالرغم من ذلك إلا أنه يرى في الموت أيضا التباسا لا يمكن للإنسان أن يعرف ما هو إلا عندما

<sup>1</sup> Emil Cioran , "on the heights of despair", T.Ilinca zarifopol-Jonhston, The university of chicago , chicago and london , 1992, w.p, p 06.

<sup>2</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، د.ط، د.س، ص 6.

<sup>3</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، ط 1، 2015، ص 146.

<sup>4</sup> إميل سيوران، "لو كان آدم سعيدا"، ت. مُجَّد علي اليوسفي، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط 2، 2014،

يسبر غوره وهذا ما سيجعلنا نلقي نظر على تحليل سيوران لمسيرة الإنسان حيث نستطيع تقسيمها إلى ثلاث مراحل :

- o المرحلة الأولى وهي مرحلة ما قبل الوجود أو ما يسمى بالزمن الفردوسي الذي دائما ما يحن إليه سيوران، الحنين إلى ماضي الإنسانية حيث لا وجود للإنسان بعد، أي عندما كان الإنسان في الفردوس قبل مجيئه إلى هذا الوجود، هذا بالنسبة لأول إنسان، أما بالنسبة لباقي البشرية فتتمثل في لحظة ما قبل الولادة.
  - o المرحلة الثانية تتمثل في الرحلة من الفردوس والمكوث في الأرض حيث أصبح الإنسان كيانا في هذا العالم، أما بالنسبة لباقي البشرية فتتمثل في لحظة ولادتهم، في كلتا الحالتين سواء في حالة الإنسان الأول أو في حالة باقي البشر فقد اضطر الإنسان إلى تقبل كونه موجودا وأن يتأقلم مع هذا العالم.
- إن الجمع بين هاتين المرحلتين هو ما سيسميه سيوران بالتاريخ، حيث يقول : « بعد أن أفسد الإنسان الأبدية الحق سقط في الزمن، حيث تمكن من العبث حتى وإن خائنه البجوحة، الثابت أنه حقق الانسجام والتكيف، إن عملية ذلك السقوط تدعى التاريخ»<sup>1</sup>، إذن سنتبقى لدينا مرحله الثالثة وأخيرة " إذا كانت هي الأخيرة لأننا غير متيقنين عما سيحدث بعدها، "ألا وهي مرحلة ما بعد الموت والتي تعد سقطة أخرى، سقوط من عالم الى عالم، ولا ندري اذا كان فعلا سقوط أم هو ارتفاع وسمو، يقول سيوران عن الإنسان في هذه المرحلة : « لكن ثمة سقطة أخرى تنتظره وتهدهه وإن كان يصعب تقدير مداها، هذه المرة لم يعد الأمر يتعلق بسقوطه من الأبدية، بل من الزمن، والسقوط من الزمن يعني السقوط من التاريخ، إنه الصيرورة المعلقة »<sup>2</sup>، إن المرحلة الثالثة التي يمر بها الإنسان تتميز بغموض كبير يجعلنا لا نعرف منها سوى أن مصير الإنسان سيبقى مجهولا إلى أن يخوض رحلة الموت، لذا فالمرحلة الثانية ماهي إلا تمهيد للمرحلة الثالثة، مرحلة ما بعد الموت، إن "الموت جوهرى

<sup>1</sup> إميل سيوران، "لو كان آدم سعيدا"، مرجع سابق، ص 34.

<sup>2</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، مرجع سابق، ص 34.

في الحياة، مما يجعلها طريق للموت"<sup>1</sup>، ومن هنا فقد تبلورت لنا الرؤية التي كوَّنها سيوران حول الكينونة والوجود بصفة عامة حيث يلخص مهمة البشرية في هذا الكون في قوله : « فجأة اتضح لي أن مهمتنا تتمثل في ملامسة الغبار بحثاً عن سر لا جدَّ فيه »<sup>2</sup>، إنه يرى بأن حياة الإنسان رحلة بحث عن سر لهذه الحياة وبعد التعمق والتأمل فيها وفي الوجود سيخلص الإنسان إلى أن نتائج هذه الحياة موجودة في مقدماتها، أي أنها تحصيل حاصل، وسرها الذي نبحت عنه واضح للعيان، لا وجود لشيء يميزها، إنها اللاجدوى في أقصى صورها، لهذا يدعونا سيوران إلى البقاء متفرجين فحسب وأن نكف عن القيام بأي فعل لأنه لا جدوى منه، حيث يقول « محادثاً صديقه الكاتب والفيلسوف الروماني كوستنتين نويكا 1909-1987 : ...إنني رجل عاطل وإن هذا العالم لا روعة فيه »<sup>3</sup>، إنه يشبه هذا العالم بالكابوس الذي علينا مواجهته إلى أن يحين موعد استيقاظنا منه، وبما أنه مدرك بأن هذا الوجود ما هو إلا كابوس خيالي فهو يختار أن يبقى متفرجاً إلى أن ينتهي منه حيث يقول : « فلان اما انفك يلومني على أنني أتصرف كمتفرج لا أشترك في أمر لا أحفل بجديد، أجبته : لكني لا أريد تغيير شيء إطلاقاً ، لم يدرك معنى جوابي. حسبي متواضعا »<sup>4</sup> لأنه لم يدرك مدى عمق عدم الفعل، يقول أيضاً : « أنا لا أفعل شيئاً، هذا متفق عليه لكني أنظر إلى الساعات تعبر وهذا أفضل من أن أسعى إلى تأنيثها »<sup>5</sup>، يمكن أن ندرج هذا ضمن فلسفة الفعل لدى سيوران حيث أنه يفضل تأمل العالم والتفكير ومراقبة الساعات على أن يقوم بملاً تلك الساعات بنشاط ما، وسنعرف بأن ذلك التفكير يفرض نفسه عند سيوران وهو ما يسمى بالوعي، إن الوعي جحيم : "اللاوعي وطن، الوعي منفى"<sup>6</sup>، لكن بالرغم مما

<sup>1</sup> Emil Cioran, 'le livres des leures', Gallimard, France, 1992, S.I, p05.

<sup>2</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، مرجع سابق، ص84.

<sup>3</sup> إميل سيوران، "تاريخ ويوتوبيا"، ت. آدم فتحى، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، ط1، 2010، ص24.

<sup>4</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، مرجع سابق، ص42.

<sup>5</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص09.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص150.

نجنيه من عذاب حيث يكون "الوعي أكثر بكثير من شوكة، إنه الخنجر في اللحم"<sup>1</sup> إلا أنه سيبقى الوسيلة الوحيدة التي تحرر الإنسان وبها سيدرك خداع هذا العالم "فالوعي هو الرذيلة الوحيدة التي تتيح لك أن تكون حرا في صحراء"<sup>2</sup>، يصف سيوران الوعي بالرذيلة لأنها هي السبب في مجيء الإنسان إلى الأرض وكذلك بسببها ستتغص حياة الإنسان، إلا أن تلك الرذيلة ستبقي على حرية الإنسان، لكن أين؟، في صحراء الوجود، أي أنه لا مناص من العذاب.

كذلك يرجع سيوران الوعي إلى أنه "حصيلة كل إحساس بالضيق"<sup>3</sup> بحيث يصبح الانفعال برهان للوجود لقوله: « لا أكون أنا-أنا إلا إذا كنت تحت أناي أو فوقها، وقت الغضب أو وقت الانهيار، عندما أكون في مستوي لا أدرك أنني موجود»<sup>4</sup> فاستقرار الإنسان لا ينم إلا عن كائن لا يشغل نفسه بالتفكير ولم يدرك بعد مدى هول وجوده، لذلك "ليس علينا أن نرغم أنفسنا على عمل، علينا فحسب أن نقول شيئا يمكن الهمس به في أذن سكير أو محتضر"<sup>5</sup>، ودلالة هذا القول أنه على الإنسان أن يكون عميقا بحيث أنه لن يفعل شيئا سوى أن يقول الحقيقة التي سيدركها الإنسان لحظة انكسار وسلب ومثلها في شخصية السكير والمحتضر، ومن هنا تأتي نظرة سيوران النافية للإرادة والتي تعتبرها مرضا على العكس من نيتش الذي دائما ما كان يتغنى بإرادة القوة والحياة، يقول سيوران: « نلح على أمراض الإرادة، وننسى أن الإرادة مشبوهة في ذاتها، وأنه ليس من الطبيعي أن نريد »<sup>6</sup>، ومن خلال الحديث عن الإرادة وعن موقف سيوران من هذا الوجود ستتبدى لنا صورة بدئية

<sup>1</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 61.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 18.

<sup>3</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، مرجع سابق، ص 77.

<sup>4</sup> إميل سيوران، "لو كان آدم سعيدا"، مرجع سابق، ص 25.

<sup>5</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 09.

<sup>6</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، مرجع سابق، ص 95.

عن ما موقف هذا الأخير من فعل الولادة؟ وعن أية إرادة ينتج هذا الفعل؟ وهل عبثية الحياة وعدميتها تستحق أن يتكاثر الإنسان ويحفظ نسله؟

يقول سيوران : « لماذا كل هذا؟ لأنني ولدت »<sup>1</sup>، يضع سيوران فعل الولادة موضع التساؤل، لماذا كل هذا العالم؟ ولماذا نتحمل مشقة عيشنا فيه، كل هذا يرجع إلى سبب وهو الذي أوجد الإنسان في هذا الوجود، هذا السبب هو الولادة، من أية إرادة تنبثق الرغبة في إنجاب فرد بشري إلى هذا العالم؟، يمكن أن نلخص أسباب الرغبة في الولادة من خلال سببين أساسيين هما :

1/ السبب الأول وهو أن الولادة ناتجة جراء غريزة البقاء والتي تتمتع بها كل الموجودات الحية، فالإنسان لا إراديا يمتلك ذلك التشبث بالحياة والرغبة في ترك أثر له مما يجعله يلجأ إلى إنجاب أفراد يذكرونه.

2/ أما السبب الثاني فهو ما يمكن التعبير عنه في لفظ الأنانية، لأن الرغبة في ترك أثر للإنسان عن طريق إنسان آخر لا يكون إلا أنانية، فلماذا يتم التضحية بإنسان لم يوجد بعد؟ وبأية صفة يتم الحكم عليه بأن يوجد دون أن يختار هذا الأخير مصيره؟.

يقول سيوران : « الإلحاح على الولادة ليس سوى شغف بالمعضل مدفوعا به إلى درجة الإقراف »<sup>2</sup> فضول الإنسان يجعله يرغب في اختلاق المشاكل وسبر أغوار ما هو ملتبس على الرغم من معرفتنا بأنه يقودنا إلى اللاشيء، يمكن إدراج هذه النظرة الراضية لفعل الولادة ضمن ما يسمون بالمناهضين للولادة أو ضد النسل، "لا توجد سوى دوافع غير محفزة للعيش"<sup>3</sup>، ومن هنا يتوافق سيوران مع العديد من الفلاسفة الذين أبدوا رفضهم للولادة ومن بينهم شوبنهاور ، يحلل لنا سيوران الولادة وسبب رفضه لها من خلال قوله : «في زمن ما لم يكن الزمن موجودا، يعد رفض الولادة ليس سوى حنين إلى ذلك الزمن ما قبل

<sup>1</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 07.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 26.

<sup>3</sup> Emil Cioran, On the heights of despair, Op Cit, p07.

الزمن»<sup>1</sup>، فلو خُيّر سيوران بين الزمن قبل الوجود وقبل أن يقبل بهذا الجسد وبين حياته في الوجود التي ما هي إلا "طريق للموت"<sup>2</sup>، لاختار بطبيعة الحال حياة ما قبل أن يوجد، ما قبل الوعي، لأنه "لا يوجد أي وسيلة للبرهنة بأن الوجود أفضل من عدم الوجود"<sup>3</sup>، وبالتالي فهو يضيف: "من المستحيل أن نشعر بزمن لم تكن فيه، من ثم تعلقنا بالشخص الذي كنا قبل أن نولد"<sup>4</sup>، إنه يرفض الولادة و يرجو لو أننا "استطعنا أن نولد قبل الإنسان"<sup>5</sup> في زمن ما قبل الوجود.

إن قصة مأساة الإنسان عند سيوران تبدأ مع فعل الولادة، ما فائدة أن يولد المرء في عالم وهمي يتسبب فقط في عذاب الإنسان؟، يتساءل سيوران: "لماذا نعيش مع العلم أننا سنموت"<sup>6</sup>، ما الفائدة في إنجاب كائن مصيره الفناء؟ لماذا هذه الرغبة في الغرق في الكاوس\* : "لن أفهم أبدا كيف يمكن للمرء أن يعيش وهو يعلم أنه ليس خالداً"<sup>7</sup>، ليس علينا أن نقرر هذا القرار المصيري وأن نوقض شخصا من سباته في الأبدية و أن نجلبه كمولود في هذا الكون، ومن هنا فإن سيوران يعتبر الولادة بأنها أفظع و أقذر جريمة يرتكبها البشر على مر التاريخ لقوله: "«اقترفت كل الجرائم باستثناء أن أكون أبا»"<sup>8</sup>، بأي قسوة نرغم شخصا ونحاصره بهذا الوجود، إنه فقدان لحرية أبدية فالولادة والقيود مترادفان: أن ترى النهار يعني أن ترى الأصفاد"<sup>9</sup>، لذلك فحتى لو تم الافتراض بأن سيوران قد يقوم بتلك الجريمة إلا أنه سيكفر عنها في قوله: "«رؤيتي للمستقبل واضحة إلى حد أني، لو كان لي

<sup>1</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 24.

<sup>2</sup> Emil Cioran, "le livres des leurres", Op Cit, p05.

<sup>3</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، مرجع سابق، ص 36.

<sup>4</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 26.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 66.

<sup>6</sup> Emil Cioran, "les livres des leurs", Op Cit, p11.

\* الفوضى.

<sup>7</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 216.

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص 11.

<sup>9</sup> المرجع نفسه، ص 260.

أطفال لخنقتهم على الفور»<sup>1</sup>، وبقراءة أخرى كأن سيوران يرى بأن المخلص الذي من المفروض أن يأتي ليخلص البشرية بدل المسيح بالنسبة للديانة المسيحية وبدل الإنسان الأعلى بالنسبة لنيثس هو ذلك الشخص الذي سيضع حداً للولادة ولحياة الأطفال، هكذا يتم إنقاذ البشرية من سطوة الوجود، يقول: «سوف تحل نهاية الإنسانية حين يصبح الجميع مثلي» "أي أنه يقصد بأن خلاص الإنسانية سيحين لما يقتنع ويكف كل البشر عن الإنجاب،" «وأولئك الأطفال الذين لم أرغب فيهم، لو يعلمون بأي سعادة هم مدينون لي»<sup>2</sup>، إذن فالنيرفانا عند سيوران تكمن في الفناء لقوله: «الخلاص ينفي كل شيء وينفينا»<sup>3</sup>، إن سيوران يقيس تطور البشرية على حسب درجة ذعرهم من الولادة ورفضهم لها، لأنه كلما ازداد رفض الإنسانية لهذه الأخيرة كلما اقتربت من النضج والذي يؤدي إلى الفناء لقوله: «ليس من برهان على ما بلغته البشرية من تقهقر أفضل من استحالة أن نعثر على شعب واحد أو قبيلة واحدة ما زالت الولادة قادرة على أن تثير فيها الحداد أو المناحات»<sup>4</sup>، علينا أن نبكي عند ولادة الإنسان وليس عند موته، لأن موته هو خلاصه أما ولادته فهي سجنه، يقول سيوران:

"ليتيتي أكون حراً إلى حد الجنون، حراً مثل وليد ميت" <sup>5</sup>، إلى أي مدى بلغ حظ هذا الوليد، إلى درجة أنه نجى في آخر دقيقة من هذا العالم: «أمام القبر تفرض نفسها هذه الكلمات، لعب، خديعة، مزحة، حلم، يستحيل أن نفكر في أن وجودنا ظاهرة جدية، ثم يتبين في أن هناك عملية غش منذ البداية.. يجدر بنا أن نكتب على واجهات المقابر: لا شيء مأساوي، كل شيء وهمي»<sup>6</sup>، مجرد التخمين وتخيل الأمر لوهلة: كل الإنجازات وكل

<sup>1</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 161.

<sup>2</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، مرجع سابق، ص 16.

<sup>3</sup> إميل سيوران، "لو كان آدم سعيد"، مرجع سابق، ص 23.

<sup>4</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 09.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 15.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 107.

ما هو موجود سينتهي وسيصبح عدما، كل تلك الأحلام والأهداف التي سطرها الإنسان غدت لا شيء، لا فرق بين الفشل والنجاح مادام لهما نفس المآل، ولا فائدة من التفكير في المستقبل لأنه لا أهمية من إشغال الذهن بما لا يستحق، هذا يحيلنا إلى زهد المتصوفين في هذا العالم، الذي يعتبرونه مجرد شيء فان، ويحتون إلى النهاية التي تتحرر فيها روحهم، مثلهم مثل الزهد الذي نجده في الديانة البوذية، التي ترى بأن هذا العالم شر، والانعقاد يكون ما بعد الحياة.

أن يصبح المرء رب عائلة، يا له من حمل إلى درجة أن سيوران قال : «تأسيس عائلة، اعتقد من الأسهل تأسيس إمبراطورية»<sup>1</sup>، استعمل هذا الوصف متهكما من مدى صعوبة أن يحمل المرء عبء تكوين أفراد لم يوجدوا بعد، بحيث يصبح إنشاء إمبراطورية من الصفر أرحم له من تأسيس نواتها ألا وهي الأسرة، بحيث نجد في أبسط الأمور بديهية تعقيدا أكبر مما نجده في الأمور العظيمة شكلا.

ومن ناحية أخرى لماذا علينا أن نزيد من عدد البشر، طالما أن الإنسان حسب سيوران كائن لا يطاق ميال إلى إزعاج بني جنسه، إن سيوران يدعونا إلى استشراف مستقبل الإنسان وهو رضيع، برؤيا فيها خذلان من هذا الأخير "«أن نرى في كل رضيع نسخة قادمة من ريتشارد الثالث»<sup>2</sup> فلا داعي من أن نأمل بأن تصير الإنسانية على حال أفضل لأن "الإنسان لا يميل إلى الخير"<sup>3</sup>، والتسامح الإنساني يبقى مجرد فكرة نظرية لا يمكنها أن تتحقق على أرض الواقع، كما أنه لا فائدة من البيداغوجيا لأن الميل نحو الشر هو ميل فطري ولهذا فلا فائدة من تعليم الطفل كيف يكون خيرا لأن ذلك لن يكبح ميوله الشريرة، وبالتالي لا فائدة من عالم يسكنه الشر، وهذا ما يجعل سيوران يضع الولادة محل السخرية حيث شبهها بالهاوية التي لا تنضب، يقول وهو يسخر من مسيرة الإنسان في الوجود : «ما

<sup>1</sup> سيوران، "لو كان آدم سعيدا"، مرجع سابق، ص50.

<sup>2</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، مرجع سابق، ص111.

<sup>3</sup> Emil Cioran, "Le mauvais démiurge", Gallimard, France, S.I, 1989, p09.

أعرفه في الستين كنت أعرفه أيضا في العشرين، أربعون سنة من العمل الطويل وغير المجدي، للتشبث»<sup>1</sup>، هكذا صوّر لنا سيوران حياة الإنسان والتي على الرغم من متاعبها وروتينها إلا أن الإنسانية تبقى متشبثة بها حتى الوصول إلى الشيخوخة، «ليست الشيخوخة في النهاية إلا القصاص منك، لأنك عشت»<sup>2</sup> بحيث ستصبح الشيخوخة طريقة الحياة للانتقام منا.

<sup>1</sup> إميل سيوران، مثالب الولادة، مرجع سابق، ص 13.

<sup>2</sup> إميل سيوران، لو كان آدم سعيدا، مرجع سابق، ص 52.

### المبحث الثالث: تجليات السخرية في فلسفة سيوران.

بعد رفض إميل سيوران لفكرة الولادة وتشاؤمه من هذا العالم الذي أصبح منفيًا فيه، فإنه وبلا شك سيفكر كأغلب العدميين في وضع حد لحياته، فلطالما راودته فكرة الانتحار كحل للتخلص من هذا العذاب الذي تسببت فيه ولادته، فهو يرى بأن خطيئة الإنسان التي لم تكن بيده هي : أنه وُلد، لكن، هل سيخطو سيوران خطو غالبية المتشائمين ويسلم بفكرة الانتحار؟

#### أ/ السخرية كمنهج :

على غير المتوقع، يرى سيوران بأن الانتحار ليس هو الحل الأمثل ولكنه لم يرغب في القبح في هذه الفكرة، فنراه أيضا قد كان يمجدها لأنها هي السبب في إبداعاته، فهو الذي قال بأنه عندما تأتيه رغبة في إطلاق رصاصة على رأسه فإنه يكتب، لذلك فإننا نجد تلك السوداوية التي طبعت كتاباته.

إن عدم اختيار سيوران للانتحار كحلّ يعود إلى أنه كان يرى بأن لولاه لكان قد قتل نفسه منذ زمن، لأن فكرة أن ينتحر ستبقى دائما خياره ما دام على قيد الحياة، ستشعره بأنه حر وهو قادر على تحديد مصير حياته في أي وقت أيواصلها أم لا، أما إذا انتحر فسيكون قد استهلك ذلك الخيار.

لذلك قام بالبحث عن بدائل أخرى مغايرة للانتحار أهم هذه البدائل نجد الإيمان والفلسفة، لكنه لم يجد فيهما الحلّ لمأساته، حيث يقول : «في التجارب الحاسمة تساعدنا السجائر بفاعلية أكثر من الإنجيل»<sup>1</sup>، لذا فإنه لم يجد في المسيحية مبتغاه واتجه لدراسة البوذية على الرغم من أن البوذية تعتبر فلسفة أكثر مما هي دين، لقد أعجب كثيرا وتأثر بهذه الفلسفة لكن رغم ذلك لم يعتنق البوذية لأسباب ربما لأن هناك بعض التفاصيل فيها لم تناسبه.

<sup>1</sup> Emil Cioran, "Syllogismes de L'amertume", Gallimard, France, S. i, 1987, p37.

أما من ناحية رفضه للفلسفة كحلٍّ فإنه يقول : «لا توجد فلسفة خلاقية، لا تخلق الفلسفة شيئاً، أعني بأنها يمكن أن تساعدنا باقتراح عالم جديد، لكن ليس بمقدورها أن تجسده على أرض الواقع وتنميه»<sup>1</sup>، إنه يرى بأن الفلسفة عقيمة لا يمكنها أن تنتج لنا معنى لهذه الحياة، فالفلاسفة على اختلافهم كلهم يجودون لنا بأفكار جديدة، لكن تلك الفلسفات تجعلنا نتوقع ونعيش في عالم غير موجود في الواقع ولا يمكن أن يفيدنا عملياً، لذا فهو يراها كالسراب الذي لا يمكنه أن يكون حقيقياً لكنه يستثني نيتش في قوله : «أستبعد نيتش من الواضح أنه أكثر من مجرد فيلسوف»<sup>2</sup>، بالرغم من أنه سينقلب على هذا الأخير فيما بعد. بعد فشل الطرق البديلة للانتحار فقد زاد هذا من عدم تحمل سيوران لهذا الوجود ولأي شيء يعتبر من الأساسيات وذو ثقل مثلما رأينا في الإيمان والفلسفة، لهذا فقد اختار التوجه نحو ما هو غير أساسي وما هو بسيط أي أنه اختار التوجه إلى الهامش، فإذا به يجد عزاءه فيه «لم نعد راغبين في تحمل تبعات (الحقائق) ولا في أن نكون ضحاياها أو شركائها، أحلم بعالم نموت فيه من أجل فاصلة»<sup>3</sup>، لم يكن يؤمن سيوران بما يسمى بالحقيقة، وتعبيره "أحلم بعالم نموت فيه من أجل فاصلة" يقصد بأنه يتمنى لو أن الناس التفتوا إلى ما هو غير ملحوظ وما لا يبدو ذا تأثير لرأوا أن تلك الأشياء الصغيرة بإمكانها أن تغير الكثير، إن العمق يكمن فيها، لذلك لم تكن تغويه الأسماء الكبيرة وما هو متعارف عليه بين الناس بأنه ذا قيمة، لأنه وجد بأن التعقيد والتعمق الحقيقي يكمن في البسيط، لهذا فإنه اختار السخرية كانتقام من جبروت الكينونة وكمتهج وجد فيها البديل الذي يجعله يتحمل هذا الواقع، فسخر من كل ما يقيد حياة الإنسان وينغص حياته ومن كل الثوابت، ومن هنا سيحل التشكيك

<sup>1</sup> Emil Cioran, "Le livre des leures", Gallimard, France, 1992, S.I, p89.

<sup>2</sup> Ibid, p89.

<sup>3</sup> إميل سيوران، "المياه كلها بلون الغرق"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2003، ص 25-26.

والنسبي محل الإيمان والمطلق. يصف سيوران السخرية قائلاً : «هذا الوعي الواضح الأبدي الخفيف يملأ لانهائية الكاوس»<sup>1</sup>

إذ أن السخرية تتميز بخفتها شكلاً لذا يقال على أي شخص يمتلك روح الدعابة بأنه خفيف الظل، أما من ناحية المضمون فهي تحمل معاني كثيرة، هذه هي السخرية التي يشيد بها سيوران، إنها خلاص للإنسان لأنها تقوم على قلب كل ما هو جدي لتجعله مضحكا وأيضا تعلم الإنسان كيف يتحمل مشاكل وعبثية الحياة اللانهائية لقول سيوران : «تعلم أن تنتظر إلى الأوهام على أنها فضائل، الحزن كأناقة، الخوف كذريعة، الإنسان كذكرى.. المعاناة كتمرين، الموت كاملا كهدف، الوجود كثافة»<sup>2</sup> لأنه في واقع الأمر أن تلك المعاني التي نقصدها بالسخرية تمثل الحقيقة، فمثلا في قوله "الحزن كأناقة" هي تبدو في ظاهرها شيء مثير للضحك لكنه يحمل عمقا كبيرا، فوصف الحزن بالأناقة معناه بأننا بالحزن نرتفع ونسمو عن الأمور السطحية والتافهة، الحزن يجعلنا نزهد عن الكثير من الأمور غير الضرورية، يعرف سيوران السخرية بأنها "تلك الوقاحة الدقيقة المسمومة بمقدار، تتمثل في فن معرفة التوقف، إن أدنى تعمق يطيح بها"<sup>3</sup>، هو يقصد بكلمة "الوقاحة" هنا الجرأة التي يراها الناس وقاحة لقدرتها على تعرية ما يتخفى وعلى كشف الحقائق لأن أول السخرية شك، لذا فهو يقول : «السخرية تمرين يعري الضحالة في جدية الوجود»<sup>4</sup> والضحل هو ما يطلق على كناية للشيء السطحي، إنها تكشفه على حقيقته، إنها وقاحة "دقيقة مسمومة" أي أنها تكون في محلها وتحمل نقدا أو رفضا أو استهزاء... إلخ، يرى سيوران بأن السخرية "فن"، لأنها تتطلب ذكاء معين وهذا ما تثبته الدراسات الحديثة التي ترى بأن الشخص الذي يمتلك حس الدعابة ومقدرة إضحاك الناس يتمتع بذكاء عالي، تتطلب السخرية أيضا عدم الإسهاب

<sup>1</sup>Emil Cioran, "L'écriture de la mort dans l'œuvre de cioran", Constantin grigorut- B.A, Supervisor : Dr. John Stout, Mastr of arts, McMaster university hamilton- Ontario, French, 1997, p64.

<sup>2</sup>Op.Cit, Emil Cioran, "Le livres des leurres", p80.

<sup>3</sup>إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، د.ط، 2018، ص128.

<sup>4</sup>إميل سيوران، "لو كان آدم سعيدا"، ت. محمد علي اليوسفي، أزمنة، عمان، ط2، 2014، ص65.

في استعمال الكلمات المضحكة أو التهكمية وإلا فستفقد ميزتها ولا يصبح للسخرية مفعول، لأن السخرية الحقّة حسب سيوران هي تلك التي تقسح لنا مجالاً للتفكير، هي تلك التي تحمل عمقا في جوهرها وليس في ظاهرها، أدنى تعمق يطيح بها فليس علينا أن نقدم السخرية في ثوب الجد، لا يجب أن تحمل طابع الجدية شكلا وإلا فلن تسمى سخرية مطلقا.

يبرز سيوران أهمية السخرية في قوله: «الضحك هو المبرر الكبير للحياة، وعلي القول أنني حتى في أعماق لحظات اليأس كنت قادرا على الضحك، هذا ما يميز الإنسان عن الحيوان، الضحك ظاهرة عدمية»<sup>1</sup> ففيه نسخر من كل ما هو موجود إنه ينفي الوجود ويرفضه فيحل مكانه العدم، «أفضل وسيلة كي لا تفقد العقل على الفور: تذكير الذات بأن كل شيء غير حقيقي وسيظل كذلك»<sup>2</sup> فرؤية أن كل ما يؤرقنا ما هو إلا وهم يجعل من المرء أكثر صبورا وهدوءا لا يقدم على أية فعل لأنه سيكون مجرد فعل لا فائدة منه كون هذا العالم غير حقيقي لأن «الشعور الحاد بإثارة الاستهزاء تجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل إتيان أي فعل»<sup>3</sup> وبالتالي فإنها ستثبط فعل الإقدام على الانتحار، يقول سيوران محادثا صديقه نويكا في كتاب تاريخ ويوتوبيا: «هل تذكر أيام كنت أطلق تلك الدعابات النارية التي لم تكن تعبر عن رغبة في الفضيحة بقدر ما كانت تعبيراً عن حاجة إلى الهرب من حمى حارقة، لو لم أجد لها متنفسا في الجنون اللفظي لما وجدت صعوبة في تحويلي إلى رماد»<sup>4</sup>، لقد اختار سيوران الفن ليعبر فيه عن أفكاره المناهضة الساخرة «في إجابة له عن سؤال: «كيف تتحمل الحياة؟» أشار سيوران إلى الإستيقا، إلى ضرورة الكذب من أجل الوجود، ثمة دور تعزية للفن: «أكتب لأتقادي نوبة (...) في التعبير راحة (...)» الكتابة انتحار مؤجل»<sup>5</sup>، لقد اختار سيوران أن ينتحر بطريقته، بالكتابة، من أجل الخلاص

<sup>1</sup> إميل سيوران، "لو كان آدم سعيدا"، مرجع سابق، ص 19.

<sup>2</sup> إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، ص 55.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 102.

<sup>4</sup> إميل سيوران، "تاريخ ويوتوبيا"، ت. أحمد فتحي، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، ط 1، 2010، ص 25.

<sup>5</sup> إميل سيوران، "لو كان آدم سعيدا"، مرجع سابق، ص 07.

"إنه يكتب للضرورة"<sup>1</sup> عندما يبلغ به اليأس إلى حد لا يطاق ليخمد في شكل أفكار ساخرة إن الكتابة بالنسبة إليه طريق إلى اللاكتابة، إنها نوع من التحايل على الحياة التي تتظاهر بالمعنى والحال أن لا معنى لها على الإطلاق"<sup>2</sup> وعلى عكس أغلب الفلاسفة نجد سيوران قد اختار الكتابة الشذرية إسقاطا عن نفسه وعن الحياة "وكأنه يعلن أن من كان شظية مثله لا يمكن أن يكتب إلا بالشظايا، بالشذرات، بالمزق المتناثرة في كل اتجاه خاصة في اتجاه السقوط وهو اتجاه الكينونة"<sup>3</sup>، لقد كان ضد النسق الفلسفي الذي يقيد الفكر ويجمده، وحفل بالفن لأن فيه فلسفة أعمق من الفلسفة بحد ذاتها حيث نجد فيه حرية أكثر من الموجودة في الفلسفة.

لذا فقد اتسمت معظم كتبه بالطابع الشذري الذي يجمع بين الكتابة الأدبية والفلسفية عمقا، لقد اختار الكتابة الشذرية كتعبير عن السخرية معبرا عن نفسه وعن كتّاب الشذرة بقوله : «نكتب على ما سكت عنه الكاتب، على ما كان يمكن أن يقول، على أغواره الصامتة»<sup>4</sup> فبالرغم من أن الشذرة تحمل كلمات أقل إلا أنها تكون مركزة مضمونا وتقول ما لا يمكن أن يقوله الآخرون في العلن، فلا فائدة للكتابة عند سيوران إذا لم يُقَل فيها ما هو مكبوت، "إن الكتب الوحيدة التي تستحق أن تكتب هي تلك التي يؤلفها أصحابها دون أن يفكروا في القراء ودون أن يفكروا في أي جدوى أو مردود مضيئا أن مأساة الكتّاب بصفة عامة تتمثل في كونهم يملكون جمهورا ويكتبون لهذا الجمهور"<sup>5</sup> فالكاتب في أول الأمر يكتب يكتب لنفسه قبل أن يكتب للآخرين بالرغم من أن سيوران لم يكن يمتلك جمهورا كبيرا فقد ردّ مرة على "قرائه الذين كانوا متعصبين له على قلتهم ولعله كان شديد الامتنان وهو يسخر

<sup>1</sup> حميد زناز، "المعنى والغضب"، الدار العربية للعلوم ناشرون-منشورات الاختلاف، لبنان-الجزائر، ط1، 2009، ص61.

<sup>2</sup> إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص06.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص06.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص25.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص05.

منهم قائلاً : «لا يهتم بي إلا من به بعض من مسّ»<sup>1</sup> إنه يشيد بقراءته بهذا التعبير الساخر، فإذا أولنا ذلك فهو يقصد بقوله هذا بأن المسّ يعني به العبقرية، فلن يقرأ سيوران إلا العميقين المختلفون عن النسخ الأخرى من البشر.

### ب/ تجليات السخرية في فلسفة إميل سيوران :

وعلى غرار ما سبق سيتم عرض بعض آراء سيوران حول مجالات مختلفة وكيف قام بمعالجتها بمنهج السخرية، فنجدده قد سخر من الولادة والحياة واصفاً بأن "لا أساس ولا جوهر لشيء"<sup>2</sup> وقد سخر أيضاً من الإنسان معرفاً إياه بأنه "خليط من الآلية والنزوة، الإنسان روبوت ذو ثغرات، روبوت مختل، لنأمل أن يظل كذلك وأن لا يتم تقويمه ذات يوم"<sup>3</sup>، ويقصد بهذا أن الإنسان مكون من نقيضين : العقل والغريزة، وهذا ما يجعله يتخبط بين الجانبين، لا يعرف ماذا يفعل بالتحديد، ورغم ذلك يفضل سيوران أن يبقى الإنسان على هذا الحال على أن يتم ضبطه وإصلاحه هذا الإنسان الروبوت المسير ليصبح مسيراً أكثر مع إصلاحه، فيصبح الإصلاح هنا تقييداً له، يقول أيضاً : «البشر لا يهجون الجحيم إلا لإعادة إنشائه في مكان آخر»<sup>4</sup>، لأن الجحيم أصلاً كامن في الإنسان، في وعيه.

يقول معبراً عن هوله من تكاثر البشرية : «البشر يتقش، البشر سرطان الأرض»<sup>5</sup>، واصفاً البشر بالمرض العظال الذي لن تشفى الأرض منه وأنه سريع التقشي نظراً لتكاثرهم.

أما فيما يخص المعتقدات الدينية فيقول : «يتم قياس العمق النفسي للشعب بدرجة الدين، العاطفة الدينية تعبر عن توتر الروح»<sup>6</sup>، ذلك لأنه يرى بأن الدين لا يحقق

<sup>1</sup> إميل سيوران، المياه كلها بلون الغرق، ص 16.

<sup>2</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، ط 1، 2015، ص 89.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 201.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 104.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 214.

<sup>6</sup> Emil Cioran, "Transfiguration de la roumanie", T. Alain Paruit, L'Herne, France, S.I, 2009, 2009, p159.

الاستقرار النفسي للإنسان، لأن الإنسان المؤمن سيعيش وهو يواجه هاجس الخوف والوسواس من الخروج من معتقده ومصيره، وهذا ما يجعله يقول بأن "كل إيمان يمارس شكلا من أشكال الرعب"<sup>1</sup>، ناهيك عن سخريته ونقده المتكرر للديانة المسيحية قائلا : « منذ ألفي عام والمسيح ينتقم منا لأنه لم يمت على أريكة»<sup>2</sup>، وهنا يقصد الخطيئة التي تصاحب معتق المسيحية بأن لا جدوى منها ومن ذلك التائب الذي يؤرّم الإنسان، يقول : «الحضارة التي بدأت بالكاتدرائيات لا بد أن تنتهي..بالشيزوفرينيا»<sup>3</sup>، ذلك أنه يرى بأن الإيمان المسيحي يسبب الاضطراب النفسي ويجعل من المؤمن منافقا يتلون بأكثر من شخصية. وفي الحديث عن الحضارة والتطور فدائما ما سنلاحظ سيوران في كتبه يعارض تقدم البشرية، ويرى بأنه مجرد وهم، فهو القائل : «لا نستطيع منع أنفسنا من اعتبار الإيمان بالتقدم خرافة، من أكثر الخرافات زيفا وسذاجة»<sup>4</sup>، إن رفضه لفكرة التقدم هذه تعود إلى فلسفته العدمية التي ترى بأننا سنصل إلى التقدم الحقيقي حينما يحين موعد خلاص الإنسانية وانتهائها، لذا فإن فكرة التقدم الوهمية التي يتغنى بها الغرب ما هي إلا تمويه وزيف وتكثيف لمعاناة الإنسان، يقول سيوران : «الغرب : عفونة ذات رائحة زكية، جثة معطرة»<sup>5</sup> لأن تطور الغرب وسيطرتهم على المجالات العلمية والتكنولوجية لم يأت إلا بعد احتلالهم لبلدان أضعف منهم وممارستهم لأفظع الجرائم الإنسانية، فمهما بدا لنا الغرب في تلك الصورة الحسنة إلا أنه سيبقى عبارة عن محتل بنى مجده على أنقاض جثث الآخرين، لهذا فهو ينظر إلى نشأة الحضارة بتلك النظرة السلبية، "من يساعد في تشكيل الإمبراطورية؟ المغامرون، المتوحشون، الأوغاد، كل من ليس لديهم فكرة عن "الإنسان"<sup>6</sup>، لأن إنشاءها سيقضي أفعالا غير إنسانية أولها تشكل الأسرة التي تنبثق من فعل الولادة، كما يرى بأن

<sup>1</sup>Emil Cioran, "Précis de décomposition", Gallimard, France, S.I, 1977, p12.

<sup>2</sup>إميل سيوران، "لو كان آدم سعيدا"، مرجع سابق، ص 26.

<sup>3</sup>إميل سيوران، "المياه كلها بلون الغرق"، ص 29.

<sup>4</sup>إميل سيوران، "مثالب الولادة"، ص 162.

<sup>5</sup>المرجع نفسه، ص 160.

<sup>6</sup>Emil Cioran, "La tentation d'exister", Gallimard, France, S.I, 1956, p13.

"العولمة مهزلة الروح"<sup>1</sup>، ربما لأنها تشكّل البشر وتسيرهم وفق نموذج واحد معين مما يؤدي إلى فقدان الإنسان لذلك البريق الذي يميزه كإنسان مستقل عن البقية، فيفقد هويته منتحلاً هوية غيره، لي طرح مجدداً سؤال الهوية في ظل العولمة، وهذا ما سيقودنا إلى مجال الفلسفة الذي تطرق له سيوران بالسخرية أيضاً، إنه يرى بأن الفلسفة بعيدة كل البعد عن الحياة اليومية، حيث نجد بأن الفلاسفة دائماً ما يحاكون المثاليات، متناسين أنهم يعيشون في واقع نسبي لا مجال للمطلق فيه، ومن هنا فإن سيوران يدعو إلى جعل الفلسفة تلامس الحياة اليومية وتتقرب من الإنسان، "لا تُعَلِّم الفلسفة إلا في الأغوار، في حديقة أو في البيت، الكرسي ضريح الفيلسوف، موت كل فكر حي، الكرسي هو العقل في حداد"<sup>2</sup> مما يعني بأن الفلسفة ليست ذات طابع استقراري يمكن اختزاله في صف للتدريس، بل هي جامعة لا تعرف الاستقرار تعلم في الأغوار حتى وإن كان ذلك في البيت فسيوران تعمد ذكر البيت لأنه يبدو لنا في أول وهلة أن المنزل ليس مكاناً للأغوار لكن هو هنا يقصد بالأغوار تلك التجربة والخبرة التي يكتسبها الإنسان من حياته ومن الألم الذي لطالما قد عاناه صاحبه أثناء مكوثه في البيت وفي ليالي الأرق التي صاحبت سيوران، ومنه فإنه يرى بأن الفلسفة تجربة شخصية مثلما كان يرى كيركغارد، والفلسفة تتسم بالجموح الفكري المتصل بالواقع، "على المفكر أن يكون وحشاً أو كوميدياً : هو كوميدي إذا احترم كل الأشياء، ووحشاً إذا كسر العلاقات بالأشياء والمخلوقات"<sup>3</sup> والفلسفة تقوم على التحرر وكسر كل ما يمكنه أن يعيق الفكر، حتى وإن كان نسفاً فلسفياً، لأن سيوران يرى في النسق تقييداً واستعباداً للعقل، لقوله : «أرسطو، توما، هيغل ثلاثة مستعبدين للعقل»<sup>4</sup> نظراً إلى أن هؤلاء الثلاثة قد اهتموا اهتموا بالمنطق وعملوا على تأسيسه، يقول ساخرا : «تقتضي منا أدنى جملة نكتبها ما يشبه الابتكار، بينما يكفينا في المقابل قليل من الانتباه كي ندخل في نص من النصوص وإن كان صعباً، إن خريشة بطاقة بريدية أقرب إلى النشاط الإبداعي من قراءة فينومينولوجيا

<sup>1</sup>Emil Cioran, "De la France", L'Herne, France, S.I, 2009, p07.

<sup>2</sup>سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، إميل ص 230.

<sup>3</sup>Emil Cioran, "Exercices négatifs", Gallimard, France, S.i, 2005, p23.

<sup>4</sup>إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 146.

الروح»<sup>1</sup>، هذا أمر طبيعي بالنسبة لسيوران صاحب فكرة أن الأعمال الحقيقية هي التي لا تلقى رواجاً، لأن الناس دائماً ما يميلون إلى الأمور السطحية، ناهيك على أن تلك الأعمال غير الرائجة ستسلم من شروحات الناس التي ما هي إلا تمييع لذلك العمل، لذا فإن أي عمل إبداعي يقوم به الفرد وبيتكه سيكون أكثر قيمة من قراءته لكتاب فينومينولوجيا الروح لهيغل، لأن الإنسان سيعبر عن نفسه بعمله وليس بقراءته لأعمال الآخرين، ومن ناحية دعوته في أن يجعل من الفلسفة مُعاشة فإن ذلك يعود إلى رفضه لذلك التعميق وإلى تلك المفاهيم الصعبة التي يغتر بها الفلاسفة مبدئياً لأن العمق لا يكمن في تعقيد الأمور واختراع المفاهيم الفلسفية، فمثلاً نيتش "لم ينحت مصطلحات ومع ذلك لم ينقص هذا الأمر من أهمية وعمق ما خلقه من فكر"<sup>2</sup>، لكن وعلى الرغم من تأثر سيوران بنيتش إلا أنه لم يسلم من سوط سخريته، حيث أن تلك الصورة المبجلة لنيتش عند سيوران لم تدم لأنه غير نظرتة حوله إذ يقول " وهو يقصد نيتش " : «أعيب عليه تسرعه وتحمسه وأنه لم يدّمّر أصناماً إلا لاستبدالها بأخرى، إنه محطم أوثان زائف لا يخلو من ملامح المراهق.. هو لم يدرس البشر عن بعد.. لو راقبهم عن كثب لما أمكنه إطلاقاً أن يتصور ولا أن يمتدح الإنسان الأعلى، تلك الرؤية الشاذة المضحكة.. إنها وهم أو نزوة لا يمكن أن تظهر إلا في عقل شخص لم يجد الوقت كي يكبر، كي يعرف الزهد والسأم الطويل الهادئ»<sup>3</sup>.. أما فيما يخص الموت فلطالما اشمأز سيوران من ذلك المنظر الدرامي الذي يحيط بالشخص المحتضر حيث يقوم بمهارة في وصف حالة الشخص المحتضر بسخرية لقوله : «أنا احتقر الناس الذين هم على فراش الموت، يتقنون أنفسهم تبني وقفة من أجل إثارة الإعجاب، لا تحرق الدموع إلا في العزلة، أولئك الذين يطلبون أن يحيط بهم الأصدقاء عندما يموتون، يفعلون ذلك خوفاً وعدم قدرة على عيش لحظاتهم الأخيرة وحدهم، يريدون نسيان الموت لحظة الموت، إنهم يفكرون إلى

<sup>1</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 64.

<sup>2</sup> حميد زناز، "المعنى والغضب"، مرجع سابق، ص 52.

<sup>3</sup> إميل سيوران، "مثالب الولادة"، مرجع سابق، ص 108.

البطولة اللانهائية»<sup>1</sup> هذه مقولة من مقولات سيوران التي تتميز أغلبها بمهارة تحليل ما هو نفسي، إنه يغوص في أعماق الذات، فبينما نراه كاتباً وفيلسوفاً يمكننا أن نراه أيضاً محلل نفسي، حيث يعرض ويصور الألم والمعاناة والمشاعر الإنسانية ويناقشها بطريقة دقيقة. ومن هنا نتساءل : ما الأهمية التي يكتسيها سيوران وفلسفته الساخرة؟

### ج- أهمية سيوران وفلسفة السخرية :

وكما تم الذكر آنفاً أن سيوران قد امتلك ذلك الحس الذي يجعله يفهم ويصف بالتدقيق ما هو نفسي، ذلك لأنه دائم الغوص في ذاته، وتبنيه للسخرية كحل لمشاكله أو كمواساة - لأن الحل بالنسبة لسيوران سيكون عند موت الشخص وتحرره- يمكن أن نطبقها على الحالات النفسية التي تعاني الاكتئاب وعدم القدرة على مسايرة الواقع فتلجأ إلى الانتحار، هنا سيأتي دور التداوي بالفلسفة، بالأفكار، وبالأخص "فلسفة السخرية" يقول سيوران :

"التخلص من الحياة حرمان من سعادة الاستهزاء بها"<sup>2</sup>، وهنا ينبغي أن نشير إلى ما تم ذكره سابقاً ألا وهو تسمية الفلسفة المشابهة لأفكار سيوران بالفلسفة المتشائمة، فهي ليست أفكاراً تشاؤمية وإنما هي إغراق في الواقعية، تصوّر لنا الواقع كما هو دون تزييف وإغراقنا في الأكاذيب التي تعدنا بغد أفضل دون أن تمدنا بحلول واقعية "إن الشيء الأكيد هو أن الملل لا يتسرب إلينا في حضرة أساتذة التشاؤم ..، الأجل أنهم يعلموننا كيف نضجر بمرح"<sup>3</sup>، لذا فإننا نجد أن كتب سيوران قد قدمت لنا العالم في صورة تراجيدية إلى أقصى حد، فهي تحمل مواساة في أعماقها، لأن السخرية تعلمنا الصبر، لذا فإن "قراءة سيوران تعطي شهية للحياة، إذ تخلق فينا كتبه رغبة كبيرة في البقاء على قيد الحياة لنتفرج عليها"<sup>4</sup> وهو الذي يدعونا إلى مراقبة ما يحدث في العالم فقط دون أن نبدي فعلاً ويكون سيء العواقب، إن نجاعة السخرية

<sup>1</sup>Emil Cioran, "On the heights of despair", T.ilinca zarifopol-johnston, The university of chicago , chicago and london , 1992, w.p, p06.

<sup>2</sup>إميل سيوران، "اعترافات ولعنات"، مرجع سابق، ص55.

<sup>3</sup>حميد زناز، "المعنى والغضب"، مرجع سابق، ص69.

<sup>4</sup>المرجع نفسه، ص69.

كفلسفة يمكن أن نقول أنها قد تحققت على أرض الواقع، وكما أراد سيوران بأن تكون الفلسفة ذات فائدة واقعية، فقد "أعدت قراءة -قياسات المرارة- الأمل إلى صديقه اللبنانية وهي تعيش سجينة القصف والدمار في بيروت، كما ردع نفس المصنف رغبة الانتحار لدى معجبة من المعجبات اليابانيات"<sup>1</sup> على الرغم من أن كتاب قياسات المرارة يحمل سأمًا كبيراً إلا أنه قد كان له فائدة في المواسة وكأن الشخص اليأس يقوم بتفريغ سلبياته عندما يقرأ سيوران الساخر.

<sup>1</sup> حميد زناز، "المعنى والغضب"، مرجع سابق، ص 70.

إن حياة إميل سيوران الفلسفية أو الواقعية أيضا لم تعرف ذلك التفاوت بين قناعاته في فترات حياته فهو قد بدأ عدmia وانتهى عدmia على الرغم من أنه قد تخللت حياته فترة اتسمت بالتحمس والميل إلى التطرف، ونتج عن ذلك ما يسمى بعلاقته مع النازية، لكن كانت مجرد فترة وعاد بعدها إلى فلسفته في اللافعل التي تغديها قناعاته العدمية، وفلسفته التي تتادي بالعدم أدت به إلى عدم تحمل واقعه وحياته الوجودية، مما أثر على أفكاره حول التنازل والولادة، مما جعله يبحث عن خلاص له، وجدّه في السخرية، التي قد أبدت واقعا نجاعتها الإبستيمولوجية والواقعية، لأنها إبستيمولوجيا تجعل الإنسان بالرغم من بحثه وبلوغه مستويات مرتفعة علميا وفكريا يبقى دائم السخرية من ذاته قبل غيره، حيث يرى أنه مهما بلغ من معارف فإنها تعد ضئيلة، كما أن السخرية تعتبر من ناحية علم النفس عزاء وممكن أن تكون طريقة فعالة في العلاج النفسي فيصبح للأفكار الفلسفية قيمة واقعية تجعل من الحياة ممكنة، ويمكن أن نسمي هذا بالعلاج بالفلسفة وبالأفكار العلاج النفسي البديل، حيث يرى سيوران بأن فائدة السخرية في أن تجعل للشخص الساخر قابلية لتحمل الواقع فهي "من جهة تساعد المتشكك في العيش من خلال السماح ببناء واجهة، ومن جهة أخرى فهي أداة تسمح له بنشر شكوكه في الواقع"<sup>1</sup> دون أن يخشى من عرضها لأنها ستعرض في ثوب غير جدي ظاهريا، وبهذا فإن فلسفة سيوران في السخرية تخدمنا وبالأخص راهنيا، مع الفراغ الروحي الذي تعيشه البشرية خاصة مع طغيان المادة وغياب أهمية الذات الإنسانية، "في مثل هذه العنمات نحتاج إلى كتاب مثل سيوران"<sup>2</sup> فنحن بحاجة إلى فلسفة تواجه الواقع لا تهرب منه..

<sup>1</sup>Catherine sylvestre, "Comment vivre au temps de la mort de dieu? cioran et le défi de l'existence sceptique", Mémoire présenté comme exigence partielle de la maitrise en science politique, Université du québec, Montréal, Octobre 2017, p104.

<sup>2</sup>إميل سيوران، "المياه كلها بلون الغرق"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، كولونيا-ألمانيا، د.ط، 2003، ص05.

المصادر :

- سيوران إميل، "اعترافات ولعنات"، ت.آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، د.ط، 2018.
- سيوران إميل، "المياه كلها بلون الغرق"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، ألمانيا، د.ط، 2002.
- سيوران إميل، "تاريخ ويوتوبيا"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، ط1، 2010، ص24.
- سيوران إميل، "لو كان آدم سعيدا"، ت.محمد علي اليوسفي، أزمنة-شذرات، عمان، ط2، 2014.
- سيوران إميل، "مثالب الولادة"، ت. آدم فتحي، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، ط1، 2015.
- Cioran emil, "De la France", L'Herne, France, S.I, 2009.
- Cioran emil, "Exercices négatifs, Gallimard", France, S.I, 2005.
- Cioran emil, "La tentation d'exister", Gallimard, France, S.I, 1956.
- Cioran emil, "L'écriture de la mort dans l'œuvre de cioran", Constantin grigorut- B.A, Supervisor : Dr. John Stout, Mastr of arts, McMaster university hamilton- Ontario, French, S.I, 1997.
- Cioran emil, "le livres des leures", Gallimard, France, S.I, 1992.
- Cioran emil, "Le Mauvais Démiurge", Gallimard, France, S.I, 1989.
- Cioran emil, "On the heights of despair", T.Ilinca zarifopol-Jonhston, The university of chicago , chicago and london , 1992, w.p.
- Cioran emil, "Précis de décomposition", Gallimard, France, S.I, 1977.
- Cioran emil, "Syllogismes de L'amertume", Gallimard, France, S. I, 1987.
- Cioran emil, "Transfiguration de la roumanie", T. Alain Paruit, L'Herne, France, S.I, 2009.

المراجع :

- أ. موزر تشارلز ، "تاريخ الأدب الروسي"، ت. شوكت يوسف، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، 2011.
- بدوي عبد الرحمن ، "شوبنهاور"، وكالة المطبوعات-دار القلم، الكويت-لبنان، د.ط، د.س.
- برانت فريتيوف، "كيركغارد"، ت. مجاهد عبد المنعم مجاهد، مكتبة دار الكلية، مصر، ط1، 2009.
- برغسون هنري، "الضحك"، ت. علي مطر، المؤسسة الجامعية للطباعة والنشر، د.ب، د.ط، د.س.
- بريهيه إميل، "تاريخ الفلسفة"، ت. جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، د. ط، د.س، ج2.
- تسيمير روبرت، "في صحبة الفلاسفة"، دار الحكمة، لندن، ط1، 2011، ج1.
- حسيبة مصطفى، "المعجم الفلسفي"، دار أسامة، الأردن، ط1، 2009.
- ديورانت ويل ، "قصة الفلسفة"، ت. فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط.6، 1988.
- راسل برتراند، "حكمة الغرب"، ت. فؤاد زكريا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1983، ج2.
- زكريا فؤاد، "العالم إرادة وتمثلا لشوبنهاور"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1994.
- زكريا فؤاد، "نيتشه"، هنداوي، مصر، ط2، 2017، ج1.
- زناز حميد ، "المعنى والغضب"، الدار العربية للعلوم ناشرون-منشورات الاختلاف، لبنان-الجزائر، ط1، 2009.
- سلونيم مارك، "مجلد تاريخ الأدب الروسي"، صفوت عزيز جرجس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، د.ط، 2012.
- شوبنهاور آرثر، "العالم إرادة وتمثلا"، ت.سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2006، ج1.

- غريزي و فيق ، "شوبنهاور وفلسفة التشاؤم"، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2008
- غلوش مصطفى، "الوجودية في الميزان"، وزارة الأوقاف، مصر، د.ط، 1985.
- كيون داميان ، "البوذية"، ت. صفية مختار، هنداوي، القاهرة، ط1، 2012.
- مصطفى ضياء، "السخرية في البرامج التلفزيونية"، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط1.
- نيتش فريدريك، "شوبنهاور مربيا"، ت. قحطان جاسم، دار أوما- دار الأمان، منشورات الاختلاف-منشورات ضفاف، العراق، المغرب، الجزائر، لبنان، ط1، 2016.
- هوبز توماس، "الليفياتان"، ت. ديانا حرب وبشرى حرب، كلمة ودار الفارابي، أبو ظبي، ط1، 2011.
- هيغل جورج ويليم فريدريك، "أصول فلسفة الحق"، ت.إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، ط3، 2007.
- هيوستن نانسي ، "أساتذة اليأس"، ت. وليد السويركي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، ط1، 2012.

-Debyser.F, "les mécanismes de l'ironie", bureau pour l'enseignement de la langue et de la civilisation française a l'étranger, s.p, s.i.

- Friedrich nietzsche, "Thus spoke zarathusta", T. thomas common, w. p, 1March2010.

-Stace w.t, A critical history of greek philosophy, Mcamellan and co, london,w.p, 1920 .

#### المجلات :

- يوسف عبد الباقي، "فلسفة السخرية"، ضمن مجلة المعرفة، سوريا، عدد885، 1مارس2010.

#### المذكرات :

-Gupta anoop, "Kierkegard's romantic legacy", University of ottawa press, canada, w.p, 2005.

-Kishore Singh Ranj, "International journal of English and literature (IJEL)", University kathmandu, Nepal, Vol.3, Issue.4, Oct 2012.

-Sylvestre catherine, "Comment vivre au temps de la mort de dieu? cioran et le défi de l'existence sceptique", Mémoire présenté comme exigence partielle de la maîtrise en science politique, Université du québec, Montréal, Octobre 2017.

#### الموسوعات :

- ابن منظور، "لسان العرب"، المطبعة الأميرية، مصر، 1300هـ، ط1، ج6.
- بدوي عبد الرحمن، "الموسوعة الفلسفية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1984ج1.
- جلال الدين سعيد، "معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية"، دار الجنوب، تونس، د.ط.
- حسيبة مصطفى، "المعجم الفلسفي"، دار أسامة، الأردن، ط1، 2009.
- روزنتال و يودين، "الموسوعة الفلسفية"، ت.سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، د.ط، د.س.
- زيادة معن، "الموسوعة الفلسفية العربية"، معهد الإنماء العربي، ط1، ج1، 1986.
- زيادة معن، "الموسوعة الفلسفية العربية"، معهد الإنماء العربي، ليبيا، 1988، ط1، ج2.
- صليبا جميل، "المعجم الفلسفي"، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، د.ط، ج1.
- صليبا جميل، "المعجم الفلسفي"، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1986، د.ط، ج2.
- طرابيشي جورج، "معجم الفلاسفة"، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006.
- لالاند أندري، "موسوعة لالاند الفلسفية"، ت.خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ج2.
- مختار عمر أحمد، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ج1.
- منكور إبراهيم، "المعجم الفلسفي"، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1983، د.ط.
- هوندرتش تد، "دليل أكسفورد"، ت. نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، ج2.